إلى القارئ

لا تزال الاوساط الادبية والثقافية تردد أصداء الحفل الذى نظمته اللجنة الثقافية القومية بمناسبة دخول المجلة فى سنتها الحادية عشرة ولا تزال رسائل الاعجاب والتقدير ترد علينا ، فيزداد شعورنا بالمسؤولية ويرسخ عزمنا على مواصلة الجهد حتى نكون عند حسن ظن كل من آزرنا ، ونهيىء - بالخصوص - أسباب الانتاج الاصيل والخلق الطريف لأدبائنا الشبان وطلائع أجيالنا الصاعدة التى لم تقاس ضيم الاستعمار ولا عانت « اليتم » الثقافى الذى عرفه كثيرون من أبناء الجيل الحاضر ، بين مغرب مقطوع عن أصله ، ومشرق معزول عن عصره ؛ سوف نعمل كى ينشأ أدباؤنا - اليوم وغدا - سالمين من كل المركبات التى فرضتها قرون الانحطاط الغابرة وأورثها النظام الثقافى الاستعمارى قبل الاستقلال ٠

بعملنا الدائب ، الصامت ، المجرد ، نعتقد أننا ساهمنا فى استئصال الكثير من العقد النفسية المعرقلة للعمل الأدبى وقضينا على الشك فى قابلية طبيعتنا وتربتنا وأدمغتنا وقرائحنا على الابداع ، كغيرنا ، لا أكثر وأقل ، وعلى ترسيخ معانى الثبات والديمومة والايجابية فى نفوس الكثيرين ممن أشفقوا على هذا المشروع الثقافى فى أولى خطواته من التعثر والاحتضار ثم الفناء ٠

بحقدنا على « الحقد » وسعينا الى تاليف القلوب وشد العزائم ، وحرصنا على اجتناب المعارك اللفظية العابرة والتصدى الى حق المشاكل وجوهرى الامور ، وفقنا - والحمد لله - الى تكوين أسرة أدبية غيورة على « الفكر » مؤمنة بنفسها ، مؤمنة بتونس - حاضرا ومستقبلا - وملتزمة خدمة القضايا الانسانية والاخلاص لرسالة الثقافة الحق ٠

تحدينا الشك والفشل والسخرية وتحدينا « التمشرق » ، وكنا ولم نزل ، بعون الله ، نضم جهودنا الى جهود الأمة جمعاء فى معركتها المصيرية من اجل الوجود الأفضل وخلق الانسان التونسى الجديد ، لا تزيدنا العقبات ورواسب الماضى الثقافى ، الا عزيمة ورسوخا فى العمل والجهاد ٠

هذه المجلة كانت منذ نشأتها خلية حية من جسم الأمة المتطورة ، ولن تزال فى مقدمة القوى الحية الطلائعية الزاحفة نحو الحياة المثلى ٠

لأن المستقبل للعاملين ، ولأن شرف الانسان فى قدرته على العمل والتقدم والسعى الى الأفضل والأجمل و ٠٠٠ المطلق ، ولأنه « لكل امرىء ما سعى » ٠

الفكر

مهرجان الفكر

تحت سامي اشراف فخامة رئيس الجمهورية المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة الذى لا ينفك يولى الثقافة والفن عناية خاصة لها اعمق الاثر فى بعث النهضة الفكرية وازدهار الادب فى بلادنا ، وبرئاسة السيد الشاذلى القليبى كاتب الدولة للشؤون الثقافية احتفلت اللجنة الثقافية القومية يوم الاثنين 1 نوفمبر الماضى بدار الثقافة بمرور عشر سنوات على بعث مجلتنا ٠

وامام نخبة من خيرة المثقفين التونسيين ضمت عددا من كتاب الدولة ومن المسؤولين فى الحكومة والحزب الى جانب عدد كبير من رجال الادب والتعليم جاؤوا جميعا ليحيوا «الفكر» باسم الفكر وليكرموا الادب التونسى والساهرين على شؤونه فى مجلة « الفكر » استهل الحفل السيد الامين الشابى رئيس اللجنة الثقافية القومية فرحب بالحاضرين وشرح دواعى اقامة مثل هذا الحفل لمجلة تحمل مشعل الثقافة فى هذه البلاد ، وتلاه السيد محمد مزالى مدير المجلة فشكر الحاضرين واكد العزم على مواصلة السير بهذه المجلة نحو الاهداف القومية السامية التى رسمتها لنفسها ثم تناول الكلمة السيد الشاذلى القليبى فنوه بنشاط الفكر وبالرسالة المقدسة التى تقوم بها وبانتصابها مرآة صافية أمينة تنعكس عليها سمات الادب التونسى مشرقة واضحة المعالم ٠ وتخلل هذه الخطب ثلاث قصائد للشعراء عبد المجيد بنجدو ، عبد العزيز قاسم ، ومنور صمادح ٠

وبانتهاء الحفل الرسمى تحولت اسرة المجلة الى احدى قاعات دار الثقافة فانضم اليها عدد من المسؤولين ومن الادباء وفى جو ودى تلا أحمد اللغمانى ونور الدين صمود وجعفر ماجد قصائد مختلفة المواضيع صفق لها الحاضرون بحماس ، الامر الذى يدل على ان الشعر ملتزما كان ام ذاتيا يحظى بالتقدير والاعجاب كلما توفرت فيه اسباب الفن والجمال ٠

وانه لمن دواعي الفخر والاعتزاز ان كان عيد « الفكر » ملتقى لهذه النخبة المؤمنة برسالة الفكر التي تعمل على حفظ كرامة الانسان واضافة درجات جديدة في سلم قيمه .

هذا وقد اقيم بهذه المناسبة السعيدة معرض مكن الزوار من رجال الادب وهواته من مشاهدة حصيلة هذه السنوات العشر التي استمر خلالها بصورة منتظمة ظهور هذه المجلة التي تغلبت على الصعاب والعقبات بفضل العطف الذي يخصها به المجاهد الاكبر وبفضل ما تتحلى به اسرتها من ايمان وعزيمة صادقة ومثابرة على المساهمة في بعث الوعي ونشر ثقافة تونسية اصيلة وكذلك بفضل غيرة القراء عليها في كل مكان وتجاوبهم معها ومتابعتهم لجهودها. ننشر في هذا العدد الخطب والقصائد التي القيت بهذه المناسبة المباركة التي نرجو ان تصبح سنة حميدة لتكريم جميع رجال الفكر ، كما ننشر قصيدتين للشاعرين محمد الشعبوني وحسين سفطة نوها فيهما « بالفكر » وجهاده .

كلمة السيد الشاذلي القليبي

كاتب الدولة للشؤون الثقافية

مجلة تونسية ادبية جامعة تبرز الى الوجود وتنمو وتتسع رقعة انتشارها ثم تبلغ العاشرة من عمرها وهي لا تزال تبرز ولا تزال على نشاطها وحيويتها انه لحدث في تاريخ الصحافة وتاريخ الادب التونسي جدير بان يحتفل به وجدير بان يقع احياؤه ٠

واعتبارا لما لهذا الحدث من اهمية تفضل فخامة الرئيس الجليل برعاية هذا المهرجان بان جعله تحت سامي اشرافه معبرا بذلك عن تقديره لجهود اسرة مجلة « الفكر » التي تواصلت عشر سنوات بدون انقطاع في خدمة الثقافة التونسية ٠

وان اول ما ينبغي ان نشيد به في هذه المناسبة هو اتصال هذا الجهد اذ هو فريد في نوعه فلقد ظهرت مجلات ادبية كثيرة في تونس على اختلاف اتجاهاتها وتفاوت مستوياتها فمنها من مهد لمجلة الفكر ومنها ما بقيت ذكراها حية في النفوس ولكنها دامت مدة ثم احتجبت لسبب من الاسباب ٠

فهذه اول ظاهرة يجب ان يلفت اليها النظر فيما يتعلق بمجلة الفكر مع الدقة في المواظبة على تواريخ الصدور وهي كذلك من الامور التي لم تعتدها من قبل المجلات السابقة ٠

ثم ان هذه المجلة امتازت ايضا بظاهرة اخرى فاغلبية المجلات التي سبقتها كانت تطغى عليها نزعة معينة التف حولها جمع من الكتاب تصدوا للدفاع عنها بينما مجلة الفكر ارادت لنفسها ان تكون ملتقى لكافة الاقلام التونسية دون تحيز ولا تعصب فتسنى لها بذلك ان تقدم في اعدادها المتوالية، باقات من الانتاج الادبي التونسي على اختلاف مشاربه وتنوع مآخذه وتسنى لها ان تكون هذه المرآة الصافية للانتاج التونسي في شتى المجالات ٠

ولعل ذلك عامل من عوامل دوامها واستمرارها في اداء رسالتها عقدا كاملا في فترة كانت من ادق فترات حياتنا القومية انصرفت فيها الطاقات الخلاقة الى شتى الاعمال واستاثرت الحياة العامة بعدد من ذوي الامكانيات ٠

على ان اصرار المجلة على الدوام والاستمرار لعله كان من ناحية اخرى عامل تنشيط لحركة الانتاج واداة دفع للهمم وانتشال لها من اعباء الشواغل التى تطغى عليها وتحولها عن وجهتها ·

ومن الحق ايضا ان نشيد بميزة اخرى تحلت بها هذه المجلة وامتازت بها عن الكثيرات من مجلات المشرق والمغرب وهى التشجيع على الدراسات الطويلة المركزة ذلك أن المجلات العربية لم توفق دوما الى التمييز بين فن المقالة التى يحسن نشرها فى الصحف السيارة وبين الدراسة الجديرة بالنشر فى المجلات الدوريـة ·

هذا ما ادركته مجلة الفكر وعملت بمقتضاه · ونود ان يتواصل هذا الاتجاه وان يزداد وضوحا وتاملا حتى تصبح اعدادها بحق مرجعا من مراجـع الثقافة والبحث والدرس ·

ولا بد فى هذه الذكرى العاشرة لتاسيس مجلة الفكر من ان نبرز ناحيـة اخرى اختصت بها هذه المجلة الا وهى الطابع المغربى الذى اتسمت به سواء بمواضيع ابحاثها او فى فتح اعدادها لمشاركة كتاب من بقية الاقطار المغـربية مما جعلها بحق مجلة المغرب الكبير وصورة حية لما يختمر فى شعوبه من نهضة وتحفز الى الرقى والازدهار ·

واننا نامل ان تكون اسرة مجلة الفكر بجميع هذه الخصال التى اشرنا اليها قدوة لغيرها من الاسر الادبية التى تحدثها نفسها بان توسع نطاق الحوار بينها وبين الجمهور المغربى ·

وفى الختام نهنىء اسرة المجلـة ونتمنى لهـا دوام المضى فى السبيل التى اختارتها لنفسها مع المزيد من النجاح والانتشار والازدهار · ونهنىء مديـرها الاخ محمد مزالى الذى لم تثنه الصعوبات عن المسير ولم تشغله المسؤوليـات عن مواصلة هذا العمل المبارك ونتمنى له مزيد التوفيق فى خدمة الثقافة القومية والمجتمع التونسى ·

الشاذلى القليبى

كلمة السيد الامين الشابي

رئيس اللجنة القومية الثقافية

ان اللجنة الثقافية القومية اذ تدعوكم الى هذا الحفل البهيج بمناسبة مرور عشر سنوات على ظهور مجلة « الفكر » بتونس لتشعر شعورا قويا بانها تؤدي واجبا نحو الادباء العاملين الذين تألفت منهم أسرة الفكرة،سواء منهم من اشرف على شؤون هذه المجلة ، ام من اودعها نثره او شعره من آدباء المغرب والمشرق. ذلك ان مثل هذا العمل لا يتحقق له الوجود ولا يتم له النجاح ولا يتيسر له البقاء الا بتظافر هذه الجهود المشتركة كل ذلك بفضل المبادىء التى وطدت الفكر عليها كيانها وحسن المخالقة حتى امكن لمسيري الفكر استنزال الهمم واستمناح قرائح هذه النخبة من رجال الفكر والادب التى لم ينقطع امدادها للمجلة بالمادة الادبية القيمة ؛ وهنا يجب التنبيه الى ان الادباء الذين يساهمون بانتاجهم فضلا عن مسيريها لا يتقاضون اى مكافاة مالية .

وها هى عشر سنين تمر والفكر اثناءها تصدر بانتظام لم تتخلف على مواعيدها،منذ تأسيسها سنة 1955،ان هذا الاستمرار تجدر الاشادة به فى حد ذاته لانه يثبت لمجلة الفكر حيويتها فى معركة البقاء حتى نفت بوجودها عن اذهان القراء شبح الاخفاق والانقطاع وجنبت الادباء مزالق الانزواء والانطواء.

اما الخطة العامة التى ركزت عليها « الفكر » مساعيها واندرج فى اطارها العمل اليومي فتقوم على الطموح فى حق قوميتنا وأدبنا بمفهومهما الانساني المتفتح ، « فالفكر » من هذا الوجه ترمي الى مسايرة ركب الحضارة من جهة والى الوفاء لروح ألامة من جهة اخرى ، ومن ثم ينبنى كفاح الاديب على اعتبار الواقع كمصدر للعطاء ومادة للاصلاح وهذه النظرة الى مسؤولية الاديب تقترن بشعور حاد بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على هذا الجيل التونسى فى مرحلة التحول التى تجتازها بلادنا وسائر الاقطار العربية .

وهذه العقيدة كان لها كل الفضل فى بعث الايمان الراسخ فى قلوب المشرفين على مجلة « الفكر » اطمأن اليها المسهمون فى تحرير الفكر كما اطمأن اليها جمهور القراء الذين كانوا يلمسونها من خلال ما يقرأون فيجراة رصينة واعتدال يقظ نابض.وبهذا الصدد يمكن القول: ان مجلة «الفكر» قد استطاعت التوفيق

بين هذه الاغراض المتكاملة التي ربما تباينت وتنافرت بادنى مبالغة او شطط. فان « الفكر » تدعو الى دراسة الانتاج التونسي وتمهد السبل لتقديره حق قدره لكنها تابى ان يطغى هذا التقدير على كل تجرد وان يتجاوز كل انصاف فيؤول الى التعصب المقوت ، والحق انه ليس من الهين التحمس في كل آونة لهذه النزاهة الحية .

وجريا مع هذا المسلك الوعر نرى « الفكر » ترفض ان توصد الباب في وجه كل انتاج بلغ من الاصالة وجودة الاداء المستوى اللائق دون اعتبار للمبادىء التي جرى عليها الكاتب او الشاعر ، واذ اشرنا منذ حين الى فتح مجلة « الفكر » رحابها في وجوه الادباء الشبان فليس ببدع ان ترحب صدرا بمختلف المشارب الادبية والنزعات المذهبية في فنون الشعر والنثر على السواء . وكذلك الايمان بحرية الاديب التي لا يطلق لها العنان الى غير حد . ويرفض منها ما يؤول الى حرية الاخيلة المريضة .

فالتعريف بالادب التونسي واستعادة حلقاته المفقودة ومحاولة تاصيل الناشئة التونسية في تفهمه وتذوق قيمه لا يتعارض مع التفتح والاقبال على المثائر الجليلة في الحضارات الاخرى والتجاوب الحضري مع عالمنا هذا الحديث .

ونكتفي للتمثل على ما سبق بان نشير الى مادة « الفكر » في مجموعها سواء ما نشر منها في الاعداد الخاصة ام العامة . ونستطيع القول اجمالا ان هذا الموقف العقلي والروحي في نفس الوقت بقيت له اسرة الفكر وفية مخلصة في ايمانها واختياراتها لمختلف المواضيع التي تناولتها بالبحث والنشر .

وقد اعترض اسرة الفكر مصاعب فتغلبت على هذه المصاعب وقد لقيت مؤازرة سامية من طرف فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة فاليه باسم الادب والادباء جزيل الشكر على ما اولى وما يولي من عطفه المشاريع الثقافية وما يعيرها من اهتمام ويخصها به من وقته الثمين .

وان المجهودات الموفقة المبذولة قد مكنت « الفكر » من ان تكسب التقدير والاعجاب في تونس وفي الخارج والفضل في ذلك كل الفضل يرجع الى تفاني اسرة « الفكر » وعلى رأسها المدير المؤسس الاستاذ محمد مزالي فاليهم جميعا شكرنا وتقديرنا وتمنياتنا الصادقة بالسير قدما « بالفكر » في هذه الربوع نحو الرقي والتقدم والازدهار .

الأمين الشابي

كلمة السيد محمد مزالي

مؤسس المجلة ومديرها

قبل كل شيء أتوجه ـ باسم عائلة « الفكر » الكبرى ، بعبارات الشكر والامتنان الى اللجنة الثقافية وخاصة الى رئيسها الاستاذ الامين الشابي على هذا الحفل اللطيف الذى انتظم لتكريم مجلة الفكر وأسرتها بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها ، وهى تدخل سنتها الحادية عشرة أشد ما تكون ايمانا برسالتها وأمضى ما تكون عزيمة على مواصلة العمل للمساهمة فى النهوض بالادب التونسى وتغذية الثقافة القومية ٠

ومما يشرفنا ويبعث فينا الشعور بالاعتزاز ان تفضل فخامة رئيس الجمهورية المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة فأحاط هذا الحفل الكريم بسامى اشرافه وشمله بعطفه وثقته ، فأكد بذلك مرة اخرى عنايته بالادب والادباء فى هذه البلاد ، وعبر عن رضاه بالمجهود المتواضع الذى لم نزل نبذله منذ فجر الاستقلال الى اليوم ؛ وليس لنا ما نرد به على فضل رئيسنا وحامى حمى الثقافة فى ديارنا ، سوى ان نجدد له العهد على مواصلة العمل بما عهده فينا من تجرد ، وتسام الى مصلحة الوطن العليا ، وتفان فى خدمة القيم السامية التى غذانا بها وطبعنا منذ زهرة شبابنا على التمسك بها ومزيد البذل فى سبيل نصرتها وتكييف الواقع بمقتضاها ٠

وان حضور السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية معنا ورئاسته الفعلية لاجتماعنا لدليل آخر على عطف حكومة المجاهد الاكبر على « الفكر » وتشجيع المسؤولين لهذا المشروع الثقافى الكبير ، وهو فوق ذلك شرف لاسرة المجلة التى ينتسب اليها الاخ الشاذلى القليبى فيشارك فى تحريرها بقدر ما تسمح له مسؤولياته الكبرى فى الدولة ، فله منى ومن اخوانه كافة أفراد عائلة «الفكر» جزيل الشكر وبالغ الثناء ٠

أيها السيدات والسادة

انى وكافة رفقائى لأشعر بالارتياح والاعتزاز عندما أشاهد ما غمرنا به كافة

الاصدقاء وكل الزملاء من عبارات التقدير والتشجيع وآيات التكريم والتبجيل؛ واني لأتساءل لماذا كل هذا العطف ؟

ألأن المجلة صمدت وكان لها من طول النفس والتوفيق فى التصرف ما جعلها تجتاز عقدها الاول وهى لم تتخلف مرة واحدة عن موعد صدورها ، فضربت بذلك رقما قياسيا وأقامت الدليل ، بعد التجارب الفاشلة التى منيت بها حوالى سبعين مجلة ونشرية صدرت طيلة الثمانين سنة المنصرمة ولم تعمر أكثر من ثلاث او أربع سنوات ، بل لم يتجاوز عمر أغلبيتها السنة الواحدة ، أقامت الدليل على عدم حتمية ظاهرة الاختفاء الذى سرعان ما يعقب ظهور المجلات فى بلادنا ؟

ألأنها بذلك استأصلت مركبات النقص التى عششت فى نفوس الكثير من رجال الادب وجعلتهم لا يثقون بمثل هذه المشاريع الثقافية ولا يكلفون انفسهم ـ بالتابع ـ مشقة المساهمة فى بعثها أو فى تحرير فصولها بل وحتى فى شرائها ومطالعتها ؟

أم لأنها مجلة ثقافية بحتة ليس للوازع التجارى أى دخل أو تأثير عليها ولا يجنى افراد الاسرة من مديرها الى أبسط المشاركين فى تحريرها أى غنم مادى ، جزاؤهم الوحيد الشعور بالقيام بالواجب والمساهمة فى الخروج بالادب التونسى من طور الركود والتقليد الى منزلة الخلق والابداع ؟

أم لأنها كانت منذ الاستقلال الى اليوم مرآة صادقة تنعكس عليها مجهودات الامة التونسية فى معركتها الكبرى من اجل السيادة والحرية والكرامة فى أكمل معانيها ومنبرا للأقلام الملتزمة فى جهادها من اجل الحق والخير والعدالة فى كل مكان ؟

أم لأنها فتحت المجال للأدباء الشبان واحتضنت محاولاتهم وشجعتهم وامدتهم بالرعاية اللازمة حتى اشتد عودهم وثبتت أقدامهم ، فكشفت بذلك عن مواهب كثيرة وفتحت للادب التونسى مجالات كبرى وآفاقا جديدة ، واصبحت مرجعا للأدب التونسى المعاصر لا يستغنى عنه ؟

أم لأنها عرفت بالثقافة التونسية والادباء التونسيين فى المغرب الكبير

والعالم العربى وحتى فى بقية الدنيا شرقها وغربها كما يشهد بذلك ما نتصل به من الجامعات والمعاهد والمفكرين من رسائل الاستحسان وطلب الاشتراك ٠ قد يكون هذا الحفل تنويها بكل ذلك أو ببعضه ، وقد يكون فيه بعض الاعتراف بالجميل للمسؤولين عن المشروع فى فرصة غير التى تعودنا فيها اقامة مثل هذه الاجتماعات ٠ ذلك أننا ألفنا فى الماضى التحسر والتأسف على المجلة بعد اختفائها ، وتعظيم الشعراء والكتاب بعد وفاتهم أو عند عجزهم ، أما اليوم ، ونحن فى عهد الكد والجد والتضحية من أجل تشييد مجتمع اشتراكى فاضل ، لا يعادل تفاؤلنا بالمستقبل المشرق البسام الذى ينتظر وطننا العزيز الا شعورنا بمشقة معالجة الواقع الذى نحياه اليوم وعزمنا على تغييره بما ينسجم ونظرتنا للكمال المنشود ، ٠٠٠ أما اليوم فان التكريم تخص به المشاريع المزدهرة والاعمال الناجحة ، وأصبحنا نرنو الى ما سنحقق وننجز غدا أكثر مما نأسف على ما فات وانقضى ٠

لذلك فان العبرة من هذا الحفل والمغزى من هذه العناية الاخوية الفائقة انما هو مزيد الشعور بالمسؤولية ومزيد السعى لتحسين مستوى المجلة كى تواكب أكثر مما واكبت النهضة القومية ، وتوفق ، أكثر مما وفقت ، الى خلق أدب يسمو به الفرد وتتغذى منه الجماعة ، أدب يستحق مجد الخلود وشرف الانسانية ٠

واذن فهل من شكر أبلغ وأوفى بالقصد من ان أقول لكم باسمى وباسم اخوانى اعضاء أسرة المجلة اننا سنواصل عملنا ونضاعف مجهودنا ونناضل بكل ما أوتينا من قوة ، وفاء لامتنا وانسانيتنا ، وارضاء لضمائرنا كأدباء وقبل كل شىء كمواطنين فى تونس البورقيبية ٠

محمد مزالى

عيد الفكر

شعر : عبد العزيز قاسم

الشعر ترنمَ منشدهُ ... وشجا الاسماع مجددهُ
عرس من عبقرَ بهجتُه ... أمْ عيد الفكر نجددهُ
حفقتْ في الخاطر اجنحة ... يدعوها الجوُّ فتصعدهُ
الوحيُ تنزّلَ اقدسُه ... برحابِك تونس ننْشدهُ
وربوع الفِتْنَةِ شاعرُهَا ... ذهبيّ الحُلْم موردّهُ
والفكر تفتّحَ مغلقُه ... كالمِشْعَل زَادَ توقدهُ
يزهو طرباً بِمَجَلّته ... فيخلدُهَا وتخلدهُ
أدبُ الخضراء يباركُهَا ... مَنْ غيْرِ "الفكرِ" يُؤيّدهُ
قد كان شتاتا منتشرا ... ورياح اليأس تبددهُ
وتجلدَ طليةَ محنتِه ... حتى اعياه تجلدهُ
خنقَ المستعمرُ صيحتَه ... فإذا النسيان يهددهُ
وتمردَ في كَبْتٍ أترَى ... يُجدي المكبوتَ تمردهُ
هَزَلَ الاسلوبُ وجوهرُه ... مُذْ عَزّ نصير ينْجدهُ
قد غاضَ معينُ الفنّ فمَنْ ... يرعاهُ ومَنْ يتَعَهّدهُ؟
وبدا في الأُفْق سَنَا أمَلٍ ... فافاقَ وأقبَلَ يرصدهُ
ومضى يختال بحاضره ... وتلألأ مبتسماً غدهُ
برزت للكوْن مجلتُهُ ... بِصباح النّصْرِ تُؤكّدهُ
لا تفتأُ تجمعُ لؤلُؤَهُ ... تَتَخيّرهُ وتُنَضّدهُ

ياعقد نجوم نيرة ... عنق الخضراء يقلده

أدب الخضراء سفيرته ... صفحات الفكر تردده

العالم أدرك جودته ... فهفا أدناه وأبعده

ونتاج العقل صفا وسما ... فكتاب "الفكر" مجلده

لايضمأ طالب معرفة ... سقياه "الفكر" ومورده

فالفكر رسالة توعية ... ورسول الفكر "محمده"(1)

ياعصر النهضة في بلدي ... اشراقك هذا موعده

نور المدنية منبجس ... مذ كان بارضي مولده

سنوات عشر قد شهدت ... ما لم تك قبلا تشهده

رايات النصر مرفرفة ... والفكر تالق فرقده

يحبوه العطف حبيب الشعب ... منار الفكر وسيده

بيد بيضاء يلامسه ... دامت لرعايته يده

ويخط سبيل الفوز له ... فيقومه ويعبده

فيسير الفكر بحكمته ... ويقدسه ويمجده

صرح العرفان بعزمته ... بطل التحرير يشيده

شرف الانسان ثقافته ... وبلوغ الحكمة سؤدده

عبد العزيز قاسم

(1) الاستاذ محمد مزالى مدير المجلة .

رسالة الارض

شعر : عبد المجيد بنجدو

قصيد مرفوع الى فخامة رئيس الجمهورية
ألقي في الذكرى العاشرة لمجلة الفكر

تنام عيون وعينك تسهر ... لأنك قلب أحب وفكر
وثار لأن الاسود تثور ... إذا رسفت في القيود وتزأر
ونفسك مثل العواصيف كانت ... على العسف بركان نار يزمجر
كفى بك أنك احببت شعبا ... وأن هواك من الطهر أطهر
إذا جف قلب المحبين، كنت ... لفرط الغرام فؤادك يزخر
وأني رأيتك يوم اللقاء ... وصدرك درع وعزمك أحمر
وكان الذي أنت قدرت يوما ... ومثلك قال ومثلك قدر
فلم تدع للحرب حقدا ولكن ... تحارب حربا وتصرع منكر
تعادي الذين يعادون جهلا ... بلادي ومن للسلام تنكر
ومن أضمر الحقد، والحقد جور ... وكانت مبادئه بالسلم تكفر
لانك آمنت بالسلم دينا ... فأبصر دينك من ليس يبصر
يذكرني اسمك بالسلم دوما ... إذ الشيء بالشيء في الناس يذكر
فحسبك ياقلب أني أعيش ... زمانا به الكون يزهو ويفخر
زمان به بطل كان جيشا ... وسيفا يقد الفلول ويكسر
ويكفيك انك أعطيتني ... من العمر أعمق عمر واغزر
وإني صحبتك في رحلة ... وشاهدت ما لم يشاهد معمر
فكان بك العمر اكثر معنى ... وعمر برفقة عمرك يكثر
لانك اكثر من رجل ... واعظم شأنا والطف معشر

لانْتَ تبَارَكْتَ شعلةُ فِكْـرٍ وَرُوحٌ تثُورُ ونَفْسٌ تُسَعّرْ
وَشَمْسٌ تطاردُ ليلاً ، وبَدْرٌ إذا الليلُ اسْدَلَ سترا تُنَوِّرْ
وَنَاحِتُ جيلٍ وَزَارِعُ فِكْرٍ فَيَا حُسْنَ ما كُنْتَ بالفكرِ تبذرْ
وَمَنْ يَشْغَلِ الفِكْرُ أيَامَهُ يُعانِقْ عَصِيَّ الامَانِي وَيَأسَرْ
وَمَنْ يَزْرَعِ الزرعِ مثْلَكَ يَحْصد وَمَنْ يبذرِ البَذْرَ مثلُكَ يُثْمِرْ
وَأنْتَ الذي في كِتَابِ الزَمَانِ رَأيْتُكَ تكتُبُ مجداً وَتَسْطرْ
فَرَضْتَ بتُونس حُرِّيَةً عَلَى فِئَةٍ بالتّحَرّرِ تَكْفُرْ
وسَيْفُكَ فِكْرٌ وَإعْمَالُ فِكْرٍ وَمَا كانَ سيفُكَ بالدمِ يقطُرْ
وَتَشْرَبُ مِمّا تَخُطُّ عُيُونٌ بِمَا كنتَ تكْتُبُ حيناً وَتَنْشُرْ
وَتَحْيَا بِرَأيكَ في الكائِنَاتِ شعُوبٌ وَتُبْعَثُ فيها وَتُنْشَرْ
لانَّكَ تُبْدي مِنَ الحَقِ وَجْهَا وَوَجْهاً مِنَ الحَقِّ نفسُكَ تُضْمِرْ
فَأنْتَ عَلَى الحالَتَيْنِ نَبِيٌّ تُحَدِّثُ عَمّا سَيَأتِي وَتُخْبِرْ
فَبِالامْسِ أنبَأتَ أنّا سَنَطْوِي سِجِلاً مِنَ العَارِ كانَ وَنُنْصَرْ
فَمَا أنْتَ إلاّ نَبِيٌّ وَإلاّ ..... فَأنْتَ رَسُولٌ بِدِينِكَ تَجْهَرْ
وَدِينُكَ فِكْرٌ وَثَوْرَةُ فِكْرٍ وَلَمْ يَكُ نُعْرَةَ عُرْبٍ وَبَرْبَرْ
وَلَمْ يَكُ دِينُكَ عَاطِفَةً إذا كانَ غَيْرُكَ إفكاً يُثَرثِرْ
فَهَمّكَ ألاّ تَرَى أمَّةً تَهُونُ وعن نَيْلِهَا المجدَ تَقْصُرْ
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ الاناسِي فِيهَا سَلامَةَ قَلْبٍ وَطِيبَةَ عُنْصُرْ
فآمنَ من شكَّ من بعدِ شكٍّ واذعن من كان بالشكِّ يَكْفُرْ
لانَّكَ عقلٌ جريءٌ وَإنّا نحبُّكَ عقلا جريئا يُفكِّرْ
تُقَدِّرُ أنا نُحِبُّكَ لَكِنْ نُقَدِّرُ أنّا نُحِبُّكَ أكْثَرْ
نُقَدِّرُ أنّكَ كُنْتَ رَسُولاً لانّكَ كنتَ المَحَبّةَ تُضْمِرْ
فَإنْ لمْ تَكُنْ هادياً وَرَسُولاً فمن ذا تكون ، اذن أنْتَ عَبْقَرْ

وَإلاّ فأنتَ هُنَا ساحِرٌ
تَصُوغُ من النّار أحلامَنَا
وَتَنْفخُ فينا الحياةَ اتّزانا
طَوَى قبلَكَ الانبياءُ سَمَاءً
وموطنُ مَنْ صَدَقُوا اللهَ عَهْدا
وفيها بحارٌ مِنَ الخَمْرِ تَجْري
وَقالُوا بها عَسَلٌ هوَ أحْلَى
وَهُمْ نقلونَا من الارْضِ حُبّا
وَأنْتَ رَفَعْتَ من الارْضِ قَدْرا
وَفَجّرْتَ فِيهَا من الماءَ عَيْناً
وَأيْنَ السماواتُ من أرْضِنَا
فَإنّ السَّمَاوَاتِ قَاحِلَةٌ
نَسِيمُكَ تُونِسُ عَافِيَةٌ
وَلَيْلُكَ وَالبَدْرُ فِي دَرْبِهِ
ويَجْمَعُنَا هَاهُنَا رَجُلٌ
به يَسْتَبِدّ الحماس وَيُلْقِي
مَزَالِيّ كانَ لفِكْرك جدْوَى
مزاليّ ادرَكْتَ بالفِكْر فِكْرا
فَكُنّا عَلَى العَهْدِ عُمّالَ فِكْرٍ
وَكَانَ لِسَانا يُبَلّغُ عَنْكَ
لانّكَ نَحّاتُ أزْمِنَةٍ
يُصَوّرُ مِنْ رُوحِهِ أمّةً
كريمَةَ خُلْقٍ جَمِيلَةَ خَلْقٍ
أصيلةَ عِرْقٍ كَرِيمَةَ أصْلٍ
يَصُوغُ بِلَوْحَتِهِ آيَةً

وَلاَ غَرْوَ ان كُنْتَ فِي النَّاس تَسْحَرْ
وَتَبْنِي العَوَاصفَ سِلْما وَمَعْشَرْ
وَثَوْرَةَ فِكْرٍ وهيبةَ قَيْصَرْ
وَقَالُوا السّماءُ نُضارٌ وجَوهَرْ
وهم صوروها جِنَانا وَكَوْثَرْ
بها سفنٌ من لجينٍ وَعَنْبَرْ
من الاملِ الحُلْوِ يَنْسَابُ أنْهُرْ
إلى حيْثُ نجمٌ منَ النّارِ يُزْهِرْ
وَشَأنا وما زلتَ للارْضِ تَنْظُرْ
وحسبُ بلادِك عَيْنا تُفَجّرْ
فَهَلْ كَانَ نَبْتُ السماواتِ أخْضَرْ
يَمُوتُ بها الناسُ والارْضُ تمطِرْ
وَلوْنُ غُرُوبكَ كالجَمْرِ أحْمَرْ
لِيَصْبغَ جُدْرَانَ حَيّكَ اصْفَرْ
بتُونِسَ آمن أرْضاً وَمَعْشَرْ
شُعَاعاً من البيّنَاتِ فَنُصْهَرْ
اذا انكر النّاسُ جدواك تُذْكَرْ
فلمْ تَتَوَانَ وَلمْ تَتَأخّرْ
وَفي جبهة النكر جُندا وَعَسْكَرْ
وَيَدْعُو لِدينِكَ سِرّا وَيَجْهَرْ
يُوَقّعُ ازميلُه حِينَ يَنْقُرْ
بها الله أوْحَى إليه فَصَوّرْ
كبيرةَ قَلْبٍ لطِيفَةَ معشَرْ
شَرِيفَةَ قَصْدٍ وَخَبْرٍ ومَخْبَرْ
فَيَا حُسْنَ ما اللهُ أوْحَى وَصَوّرْ

عبد المجيد بنجلو

الطـــــريـــق ..!

شعر : منــور صمــادح

من وحي الذكرى العاشرة لميلاد مجلة (الفكر)

مجدك الفكـر واغتصاب الـرغاب — في اعتزام الامور فصل الخطاب
ليس أدعى الى الرثـآ مـن سؤال — في شفـــاه تمططت للجـــواب

كـــل شيء مســوم للأمـــانى — ان صدقن الحياة رغم الصعــاب
أى معنى لحلمنــــا وهـــوانــا — ان قنعنــا بوفـــرة واكتساب ؟

الطمـــوح العظيـــم سر كمين — عبقـري يسود روح الشبــاب
لا تهبها ! ، وان أرتك ازورارا ، — فالتجنى من مغريــات الكعــاب

هى وصــل مضمــخ بعد لأى — للشـــوق مدلـــه مستجــاب
فازدردهـــا شراهــة لا تبالى — قبـل فـوت الأوان والاغتــــراب

وادخرها ، مصانة لن تضاها ، — مكرمــات تعيش في الأحقاب
رب ذكر يتوج المـرء خلــدا — رب ذكر يمـور في الاغتياب

أنت ميت ، وليس للموت عذر ، — والمبـــانى مشادة بالخـــراب
غير أن الحياة يا صاح خلق — وانبعـاث لما ثـوى في التـراب

ان ماء يضج في الصخـر عذبــا — وربيعــا مفوفــا في السحاب
فجـــروه يكـــن ارادة شعــب — وابعثوها الحيــاة في الأخشــاب

يا رفـاقى ، ودربنــا مدلهـم ، — علمونى المسير عبـر الضبـاب
أى ضـــوء لمدلــج مستغيــث — وغـريب ومعطـش في يبـاب

نحـن جهـد معنت ليس يرجـو — غيــر حــب ومحنــة واحتســاب
قد نعانى تألمـا فـــى جليـــل — غيــر أن اللـذاذ منح العـذاب

انّ مجد الـزمان فى كـل صعب   وانخذال الزمـان فى الارتيـاب
ألحوار الحوار ! خيـر وأبقى   والرجاء العظيم رهـن الصـواب

علمـونى محبـة النـاس انـى   قد مللـت البقـاء فـى سردابى
وكرهت الحياة وحدى وعندى   فوق هذا الاديم خير الصحاب

لست شيئا بغير غيرى ، دعونى   أتملى الحيـاة فـى الأحبـاب
هـم رجـائى اذا قـلانى زمـانى   واعتـزازى وكل مـا فى جرابى

أنـا فيهـم معـدد مستـزيد   مثـل روح الربيع فى الأعشاب
أتغنـى بألـف لحـن قـوى   والمثـانى تصـاغ مـن أعصـابى

أنـا وحدى بغير غيرى سكوت   لغنـائى ومحنـة فـى ربـابى
لم تلدنى لو آنها لم تـرده ...   لست شيئا لو لم أكن فى الوطاب

صـوروانى تعـاضدا واتحـادا   فاشتراك الحياة فى الأصلاب !
ليس نحلا لو لم يكـن للخلايـا   ليس نحـلا لو لم يكـن للطـلاب

باركوها ارادة الشعب وامضوا   فى الطريق الطويل بين الشعاب
بعد عشر ظفـرن بالعيش قسرا   كـن خضـرا حفلـن بالاخصـاب

سوف نمضى الى الأمانى سـراعا   فى اندفاع السيول ملء الرحاب
كيف نخشى العثار والله حاد ؟   والحبيب العظيم فى الأعتاب ؟

منـور صمـادح

1965/11/1

تحيـــة « الفكـر »

- في مستهل عقده الثاني -

شعر : حسيـــن سفطـــة

الفكـر نــور للبصــر في عقـده الثـاني بهـر
ينسـاب في تسيــاره من غير ضعف او ضجر
في همـة ، في عـزمـة صمـاء من أجـل الظفـر
يمشـي فـلا يلـوى على شـيء ضئيـــل محتقـر
يسمـو الى أفـق الكمـا لات فـلا يخشـى خطـر
بيـن الثريـا والسهـا حـذو الـدراري والقمـر
يـا حسنـه في بـرجـه يختـال في ثـوب أغـر
في قــربـه أو بعــده يهفـــو لمــرآه النظـر
انـي على طـول المـدى أرعاك يـا فكـر الفكـر
حتى ولــو جـرعتنـي سـم الجفــاء المنتظـر

* * *

عمـرت عقــدا كــاملا تـدلي بــآيــات غـرر
مـن طـارف أو تــالــد أو مـن بـديــع مبتكـر
كـم مبحـث قــدمتـه مـطـولا أو مختصــر
وقـصــــة فتـانـــة مـلأى وصـايـا او عبـر
وكــم قصيـــد رائــع أبيـــاتـه مثـل الـدرر
ونـــاشيء وجهتـــه والآن أضحـــى مقتـدر
ونـــاقـد شجعتـــه أجــدر بـه أن يفتخـر
حقــا لقـد لمست مـا تسمـو بـه بين البشـر
ان عشت عقـدا واحـدا أحـرى بأن تحيـا دهـر
فآهنـأ بعيـش خـالـد فأنـت دومـا مشتهـر

* * *

أرجوزتي أهديكها ... من وحي قلب مستعر
مسبوكة من عبرتي ... تنساب من ذاك الوتر
من وحشتي ، من محنتي ... مما بنفسي مدخر
يا فكر فى ذكراك قد ... أحييت مني المندثر
أشعلت نيران الهوى ... حتام قلبي ينصهر ؟
لولاك ما عشت وما ... أعددت أشعارا أخر
لكن ذنبي واحد ... وهو الوفاء المستمر
كيف التسلي عن أسى ... والوكر خال مكفهر
أفراخه فى حرقة ... نبكي على عهد غبر
يا نكبة لا تنتهي ... يا مأثما لا يغتفر

حسين سفطة
استاذ العربية
ليسى الذكور بالمنستير

فليحي هذا الفكر رائد أمة

شعر : محمد الشعبوني

(الفكر) في الخضراء زاد تالقا ... وسما بنوره في العوالم مشرقا
(الفكر) موعدنا ومن اشراقه ... نحيا مع الآداب (شهرا) شيقا
الفكر موعدنا نحن لنوره ... ونذوب يوم الانتظار تشوقا
في لهفة المشتاق نفتح سفره ... ونغوص ما بين البحوث تعمقا
يلقى (الى القراء) خير تحية ... فيها الحياة لمن يروم تذوقا
ما شئت من ادب وروائع قصة ... تلقاه ما بين السطور منسقا
والشعر بين قديمه وحديثه ... تلقيه حيا ناميا متدفقا
يا معرض الآداب يا وحي الحجى ... شرفت تونس بالنتاج المنتقى
ونشرت من آدابها ورسمت ... من الوانها ما تستحق به البقا
هذا شعاعك سائر متكامل ... يغزو القلوب مغربا ومشرقا
كانت بلادي في الورى مجهولة ... وعلى جناح (الفكر) تم لها اللقا
يا (فكر) يا فجر السلام بارضنا ... هذا نداؤك للسمو تحققا
للمغرب العربي تهدف داعيا ... وتنير بالآراء ما قد أغلقا
وجعلت همك خدمة الانسان في ... الدنيا تبصره بأنواع التقا
فازداد اهل الفكر فيك محبة ... وازداد كل المؤمنين تعلقا
عشر من الاعوام عشت خلالها ... لم ينقطع عنا شعاعك مطلقا
يبدو سناك مع الهلال كأنه ... عن غرة الشهر الجديد تفتقا
فليحي هذا (الفكر) رائد امة ... ولينطلق نحو السماء محلقا

غرة نوفمبر 1965

نظرات في الاسس الفكرية للاشتراكية الدستورية

بقلم : الدكتور عبد المجيد رزق الله

ان اهداف الرسالة التحريرية التى اضطلع بها الحزب منذ نشاته ، والتى ظهرت جلية بعد ثورة 1952 الحاسمة فى مؤتمره الاول بعد الاستقلال فى سنة 1955 ، هى اهداف الرسالة الاشتراكية ، وتقتضى هذه الرسالة تطور الامور الى اوضاع تصبح معها اجهزة الانتاج ووسائله ملكية اجتماعية مسخرة لسد حاجات البشر . وما زالت معالم الاشتراكية الدستورية التى اقرها مؤتمر المصير المنعقد ببنزرت فى ما بين 19 و22 اكتوبر 1964 كمذهب وطريقة للنمـو الاقتصادى والتقدم الاجتماعى تتضح شيئا فشيئا . فالاشتراكية ليست جملة من التعاليم الجامدة ، بل هى « بحث وطلب » ما زال يواصل القيام بها قادة الحزب ومختلف تشكيلاته لمعالجة الواقع التونسى والتوفيق بين متناقضاته وخلق اوضاع جديدة افضل . وهى « خلق مستمر » قصد « القضاء على الاستغلال ، ونشر الرفاهية الشاملة ، وتمكين القوى الشعبية من النفوذ الاجتماعى والاقتصادى والسياسى « بوسائل لا تهم فى حد ذاتها بل لا يراعى فيها الا فاعليتها ونجاعتها » (1).

الا انه فى الامكان من الان ، بعد مؤتمر بنزرت ، والمجلس القومى المنعقد يومى 21 و 22 ماى 1965 بمناسبة دراسة المخطط الرباعى ، والملتقى القومى المنتظم يومى 10 و11 سبتمبر 1965 للتنسيق بين القطاعات الاقتصادية ، محاولة ضبط الاسس الفكرية التى اخذت الاشتراكية الدستورية تسير عليها خطوة بعد اخرى.

* * *

والملاحظ قبل كل شيء ان معظم هذه الاسس ليست دخيلة على الحزب ، بل هى متأصلة فيه، ويرجع عهدها الى السنوات الاولى من بعثه على يد رائده المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة ، ومن اهمها اعتبار ان التخلف هو الذى مهد

---

(1) من أقوال المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة .

للاستعمار ، ولذا فان الكفاح لاسترجاع السيادة لا بد ان يعقبه كفاح آخر من اجل الرفاهية والازدهار والمناعة. وان العاملين الاساسيين اللذين مهدا للنجاح فى المعركة التحريرية هما اللذان يجب مراعاتهما لبنـاء الاشتراكيـة وتحقيق الرفاهية العامة والازدهار الشامل • وهذان العامـلان هما غـرس الشعـور بالكرامة واستعمال الراى والعقل قصد بلوغ الغاية المنشودة •

وفى هذا الصدد يقول المجاهد الاكبر :

« ••• كما غرسنا فى النفوس، اثناء الكفاح الشعـور بجـرح الكرامـة من جراء الحكم الاجنبى ، يجب ان يصل المـواطن الى ادراك ان كرامتـه البشرية يجرحها الرضا بحالة العيش المزرية والوضع الشبيه بوضع السوائم » •

ويضيف قوله فى خصوص دور العقل والـراى واتبـاع سيـاسة التنظيم والتخطيط فى معركة البناء والتشييد :

« ••• لكى نؤدى واجبنا ونطمئن على هذه الامة وعلى مستقبلها لا بد من ان تعمل على تغيير الاذهان ووسائل الانتاج وطرقه ولا بد من تغيير الاوضاع حتى نبلغ درجة التقدم ويزداد انتاجنا كل عام بمقدار يمكن من اعالـة الموجودين والذين سيوجدون • وهكذا يزول الخوف من تزايد النسل لان هذه الزيادة تصبح مرتبطة بتزايد الامكانيات وقد يفوق توافرها توافـر الافواه المتطلبـة للاكل وتوافر الاجيال المقبلة •»

« ••• والتصميم ليس الا طريقة من الطـرق الموصلة للنجـاح وسبيلا من الاستراتيجية او التكتيك الذى يمليه العقل ويؤدى الى بلوغ الغاية • »

* * *

ومن اهم المواضيع التى تواجه مجتمعنا فى المرحلة الحالية ، مرحلة الانتقال من التخلف الى الازدهار والكرامة فى ظل الاشتراكية الدستورية موضوع القيم الاخلاقية الاشتراكية • وهذه القيم هى المحركة لـه جنبا الى جنب مـع القوى الاخرى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية• وأولاها استنهـاض الهمم والايمان بالتطور وغرس العزيمة على تحقيق هذا التطور وتعميق روح المسؤولية واذكاء روح الاستعداد للتضحية من أجـل مصلحة المجموعة وكذلك خضـوع مصلحة الفرد الى المصلحة العامة وتجاوز الفرديـة الضيقة وانكار الذات والبعد عن التعالى والغرور والقيام بالواجب وبعبارة عامـة التحلى بالسلوك الاشتراكى

الاصيل . والى جانب هذه الدوافع النفسانية هنـاك قيم اخلاقية اخـرى لابد منها لتسود الاشتراكية . منها انـه يجب الايمـان بالمساواة فى الحظوظ بين البشر والعمل من اجل تحقيق العدالة الاجتماعيـة او على الاقل الاقتـراب منها اكثر فاكثر . فلا حرية بدون عدل وبدون مساواة ولا حرية حقيقيـة الا بالقضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان . ومن القيـم الواجب تغييرها ايضا لدى الجماهير الشعبية خاصة التواكل والاكتفاء المطلق بالغيبيـات والفـوضى فى العمل ورفض التنظيم الدقيق ومقاومة كل جديد وتعـويضها بالايمـان ايمانا عميقا بالعلم والتطور العلمى بغيـة التغلب على الطبيعـة والسيطـرة عليها واخضاعها وتسييرها لما فيه مصلحة البشر وخيره .

* * *

ومن الاسس الفكرية للاشتراكية الدستورية ايضا نظـرتها لموضوع الملكية فهى تعتبرها وظيفة اجتماعية وهذا ما اكـده المجاهد الاكبر اذ قال فى رده على استجواب احد الصحافيين :

« ... فيما يخص حق الملكية فنحن نعتبر ان الملكية اصالـة مسألة لا تهمنا اولا وبالذات انما الذى يهمنا هـو التصرف فعندما يسيء المـالك التصرف او لا يتصرف بالطريقة التى تفيد المجتمع كان من واجب المجتمـع ان يضع يده على الملكية ، لكى يتصرف فيها ويخرج منها من المنافع والمغانم ما عجز عنه الفرد »

وهو ما أكدته ايضا اللائحة العامة التى صادق عليها مؤتمـر بنـزرت والتى نصت على ان « التصرف فى الملكية وظيفة اجتماعية يتحتـم ان تخضع للمصلحة العامة ، وان يكون اداة لتحقيق الاهداف القـومية وهو الشرط الاساسى الـذى يمنح الملكية حق التمتع باحترام المجتمع وصيانة الدولة »

وتنسجم هذه النظرة تمـام الانسجام مع دستـور الجمهوريـة والنصوص التشريعية وخاصة منها ما جاء فى مجلـة الحقوق العلنيـة من فصول تتعلق بالملكية بالذات .

فالدستور ينص فى توطئته على وجوب « توفير اسباب الرفـاهية بتنمية الاقتصاد واستخدام ثروة البلاد لفائدة الشعب ». كما ينص فى احكامه العامة الفصل الرابع عشر على ان «حق الملكية مضمون ويمارس فى حدود القانون».

وهذا القانون هو الذى ضبطته مجلة الحقوق العينيـة التى تنص فى فصلها الواحد والعشرين على ما يلى :«على المالك ان يراعى فى استعمال حقه ما تقتضى به النصوص التشريعية المتعلقة بالمصلحة العامة او بالمصلحة الخاصة » ٠

وهكذا جاء هذا النص مراعيا للمصلحة العامة وللمصلحة الخاصة على حد سواء باعتبارهما منسجمتين مع بعضهمـا بعض ومتممتين لبعضهمـا بعض ٠ وهذه ميزة اخرى مـن مميـزات الاشتراكيـة الدستورية كمـا سيـاتى فى سيـاق هذا البحث ٠

وفى موضوع القسمة راعت مجلة الحقوق العينية نفس المبـدا القائـل بان الملكية وظيفة اجتماعية فاعرضت عـن المبدأ التقليدى القـائل بان القسمة لا تكون الا قسمة رقاب وعوضته بمبدا آخر وهو مبدأ القسمة بالقيمة ، وذلك محافظة على القيمة الاقتصادية للعقار أو للمشروع الاقتصادى ومستوى انتاجه٠

ولتكون الملكية اجتماعية حقا وفعـلا تجنب المشـرع التـونسى مـوقفين متطرفين هما :

اولا : الحرية المطلقة للفرد فى التصرف فى ملكه كما يشاء ٠

ثانيا : سيطرة الدولة سيطرة تامة على الملكية باعتبارها اداة انتـاج تهمها وحدها دون مراعاة للفرد ٠

فاختار حلا وسطا راعى فيه الحرية مع الفاعلية ، ومن المعلوم ان الملكيـة حسب المبدا التقليدى حق مقدس لا يقبل التحديـد وحـق مطلق يشمل حتى حق الاتلاف ٠٠٠ وفعـلا فان هذه النظـرة هى التى كانت موجـودة قبل ان الانتاج وتوزيعه توزيعا عادلا٠ومن الواضح ان الحرية المطلقة تتنافى ومصلحة الانتاج وتوزيعه عادلا ٠ ومن الواضح ان الحـرية المطلقـة تتنـافى ومصلحة المجتمع باعتبار ان كل عمل فردى له تاثيره على المصلحة العامة سواء عندما لم يحسن المالك التصرف فى ملكه او اذا هو استغل بواسطته غيره ٠ ومن ذلك اتى مبدأ اعتبار الملكية وظيفة اجتماعية مثل كـل الوظـائف التى يطالب فى استعمالها حسن التصرف والنتيجة المفيدة لا للفـرد وحده بل للمجتمع الذى يعيش فيه ٠

وهذا ما يختلف عن النظـرية الماركسية التى تنـادى بملكية ادوات الانتاج ملكية تامة من طرف المجموعة المتمثلة فى سيطرة الدولة بحيث لا يصبح مجال

للفرد في هذا النظام • فهذا النوع من الاشتراكية المتطرفة يرى فيه الماركسيون مذهبا اقتصاديا بحتا ووسيلة لتقديم الحلول الاقتصادية لمشاكل الملكية والانتاج والتوزيع والاستهلاك ، ولا يرون فيه ما يمس النواحي الاخرى من حياة الفرد والمجتمع وخاصة الاخلاقية والعقلية منها •

وبين هذين الموقفين المتطرفين اختار المشرع التونسي موقفا يتمثل في الجمع بين الحرية والفاعلية •

فالحرية الفردية القصد منها خدمة مصلحة الفرد دون مراعاة لغيره في حين ان العمل الجماعي اكثر نجاعة من العمل الفردي • الا أن في هذا العمل الجماعي حدا من الحرية • فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن والحالة تلك هو : كيف يمكن الوصول الى التوفيق بين الحرية من جهة والفاعلية من جهة اخرى ؟

وقد اجابت الاشتراكية الدستورية على هذا السؤال بالاضافة الى اقرار عدد من المبادىء الاساسية من بينها المبدأ القائل بان الملكية وظيفة اجتماعية بالسعي لرفع مستوى الانسان وتحقيق درجة من النضج تمكنه من ادراك ان مصلحته اضمن واوفر في العمل الجماعي منها في العمل الفردي وحين ذلك يهون عليه الحد من حريته ويتقبلها بصدر رحب •

وهذه اهم ميزة من مميزات الاشتراكية الدستورية التي رائدها الانسان اولا وبالذات والسمو به الى اعلى مراتب الكرامة •

(للبحث بقية)

عبد المجيد رزق الله

في ملتقى الشعراء

شعر : أحمد اللغماني

حديث جرى بيني وبين شاعرة بلجيكية في الملتقى العالمي السابع للشعر المنعقد (بكنوك) بلجيكا من 2 الى 6 سبتمبر 1965

فى « ملتقى الشعراء » كانت قبلة الـ — متطلعين ، وكعبة القصاد
كانت تمر فتستثير وراءها — زمرا من العشاق والرواد
تختال فى « الصالون » تحسب أنها — « بلقيس » فى جمع من العباد
الطيب يعبق حولها ، ووراءها — ينداح كالنهر الرصين الهادى
يهفو الشعاع لجيدها فيرده — طوق من « الألماس » للأبعاد
ويعود للخدين يلقى بالسنى — فيضيع فى الاشعاع والايقاد
ويحوم بالشفتين فى تهويمة — ويطوف بالعينين فى اجهاد
ويذوب فى تطريز طرف ردائها — ويموت خلف قوامها المتهادى

* * *

كانت تمر ، فأبطأت فى السيراذ — لمحت على وجهى شموس بلادى
وتوقفت حينا ، وأشرق وجهها — اشراقة الأفراح فى الأعياد
وتبسمت ، فاذا السنى متدفق — تخبو لومضته « ثريا » النادى
وتقدمت منى بخطوة جؤذر — يحتار بين تردد ، وتمادى
ودنت ، وحيت ثم قالت : «شاعر ؟» — فأجبتها : « الشعر نبض فؤادى »
أحيا به وله · فلولاه لما — هتفت مطوقة على الأعواد
ولما عرفنا الحب فى اضرامه — يحتد فى الأحشاء والأكباد
أنا ـ شاعر يا هذه ـ وقصائدى — أغلى محاصيلى ، وأفضل زادى
ضمنتها المكنون من حبى ومن — فرحى ، ومن حزنى ، ومن أحقادى
أنا ـ شاعر يا هذه ـ وقصائدى — لمطامحى ، ولأمتى وبلادى

* * *

وهفت محدثتى لسرى وانبرت — منقادة لفضولها المزداد

واسترسلت : « من اى منبثق اتيـ ـت بلاعج من شمسه وقاد ؟
وبعثت فى « بحر الشمال » وغيمه لمعا من الآصال والآراد
أمن الشآم حملتها ؟ أو من ربى لبنان ؟ أم من مصر ؟ أم بغداد ؟ »
فمسحت عارا أيقظته بجبهتى وطويت أحشائى على أنكادى
وأجبتها : « من كلها ان شئت ، لا تمييز ! فهى منابتى ومهادى
لى فى مدى اصقاعها رحم تشـ ـد ، ولحمة تبقى على الآباد
نسبى العروبة – يا جميلة – اننى متأصل الآباء والأجداد
لكننى أقبلت من أرجائها من رقعة مرموقة الأمجاد
من شبر أرض – يا جميلة – لم تفو هى باسمه فى جملة التعداد
لا لوم ! – يا حسناء – ان لم تذكرى فى ما ذكرت منارة الارشاد
وجنينة فيحاء تعبق بالشذى الطير ضيف قضيبها المياد
نزل الربيع بها وحط رحاله مستوطنا من سالف الآماد
نزل الربيع ، وطاف فى أرجائها يكسو بحلته الربى والوادى
أنا – يا جميلة – من بلاد خصها ربى بمحض العز والاسعاد
الشمس تنسج من أشعة نورها لتلفها فى أجمل الأبراد
والبدر يحنى ظهره لعناقها متمسحا بالسهل والأنجاد
والبحر يلثم رملها الفضى من شطآن « جرجيس » الى « رواد »
أقبلت – يا حسناء – من بلد على هضباته هتف الحمام الشادى
ونما به الزيتون يبسط ظله للطير بين روائح وغوادى
من « تونس الخضراء » جئت بلادكم متزودا بمحبتى ووادى

* * *

وبدا على الحسناء جد بالغ وعلا محياها اهتمام بادى
وكسا الوقار مع الدلال جبينها فالتفت الأضداد بالأضداد
ودعوتها لأريكة متروكة تحتل ركنا من زوايا النادى
جلست ، وردت خصلة من شعرها قد أفلتت من قبضة « الشداد »
واسترسلت « عفوا ! فان حماقتى وسخافتى قد راحتا برشادى
ونسيت أن بلادكم ذكر على شفة النزيل معطر الترداد
حملت الينا ريحه أمجادكم فى خوض معركة وكسب جهاد
وعنادكم فى خلق كل مجدد من طارف الأمجاد غير معاد
بنزرت كانت عندنا مثلا لما ابديتمو من حنكة وعناد

كانت ختاما للهوان ، ومنتهى / أمد الخنوع ، وعهد الاستعباد
ورئيسكم٠٠٠؟ «فأجبتها» لا تخطئى! / بل روحنا المنساب فى الأجساد
فلو ان عينك – يا جميلة – غلغلت / فى عمق كل حشاشة وفؤاد
لرأيته بين الحنايا مشرقا / فى القلب ، اشراق الشعاع الهادى
هو حظنا البسام وهو طموحنا / ورجاؤنا الآتى من الأبعاد
هو هتفة الصبيان فى ألعابهم / هو دعوة المتبتل العياد
انا حملناه على هاماتنا / للحكم ، بل للنصح والارشاد
ولقد تحمل عبئنا فى شرخه / واللهو يدعو ، والشباب ينادى
ومضى يضحى بالصبى ومراحه / لخلاصنا فى عزمة وجلاد
أو مثل هذا لا يحب ويفتدى ؟ / من من ذويه لا يكون الفادى ؟
تعنو الشعوب مخافة أو رغبة / فى الانقياد لشهوة القواد
ويساس أغلبها بقوة قاهر / يعتز بالسفاح والجلاد
يتصبر المظلوم ٠٠٠ لكن صبره / مهما تمطط سائر لنفاد
كم من رؤوس أينعت فى غيها / فى الزور ، فى التضليل ، فى الافساد
هى كالسنابل ، ان يحن ميقاتها / ترخ الرقاب لمنجل الحصاد
يا ويح من قهر الشعوب بجوره / فالله للجبار بالمرصاد
أما بلادى فالمحبة شرعها / خلصت من الأضغان والأحقاد
شاد السلام بأرضنا دارا له / شماء ، ذات ركائز وعماد
دستورنا حب وطهر سريرة / جلبا الينا أعين الحساد
هذى طوايانا ، وتلك خصالنا / وبذاك عودنا « حبيب » بلادى

* * *

ومضت تحدق فى الفضاء كأنها / طفل يناغى الحلم قبل رقاد
واستيقظت من حلمها المبتور اذ / نادى لعقد الاجتماع منادى
قالت ونحن نسير « قد حدثتنى / فاهجت شوقى واحتثثت مرادى
لكأننى فى رحلة مسحورة / الحلم فى أبعادها منطادى
شوقتنى لجنينة مخضرة / ولشاطىء يفتر للرواد
ولجبهة شماء أشرق نورها / فى عالم متلحف بسواد
شهدت لها الدنيا ، ومجد مجدها / فى العالمين ، أحبة وأعادى »
فأجبتها « انا اذن فى تونس / فى جنة الدنيا على ميعاد »

كنوك (بلجيكا) فى 65/9/3

الوضع الثقافي في الثلث الاول

من القرن العشرين بتونس (*)

بقلم : احمد خالد

... أمّا الحالة الثقافية والفكرية في عصر الحدّاد فلم تكن راكدة ونحن مضطرون الى مخالفة الاستاذ المنجي الشملي في رأيه الذي ذهب اليه وهو أنّ الحالة الثقافية كانت عصرئذ متدهورة غامضة (1) . فنحن بإزاء تخمر النّهضة التي بدأ بها المصلح الكبير خير الدّين التونسي وبصدد فترة يقظة سياسية تمخض عنها نشاط قلميّ وجّه بخاصة الى المقالة السياسية والخطابة والشعر السياسيّين. ويمكن تعريف هذا العصر في تونس بعصر ازدهار الصّحافة والشعر. فهذا العصر غنيّ بالاعلام سواء في الشعر أو في النّثر كأبي القاسم الشّابي ومصطفى آغه وسعيد ابي بكر والشّاذلي خزندار ومحمد العريبي والطّاهر الحدّاد وعلي الدّوعاجي وغيرهم كثير اعتنى بتراجمهم ونقل مختارات من أدبهم المرحوم زين العابدين السنوسي في كتابه « الادب التونسي في القرن الرّابع عشر » بجزأيْه . وإنّ الباحث ليجد كذلك تصويراً لهذه الحياة الثقافية في كتاب الشيخ الفاضل ابن عاشور بعنوان « الحركة الادبية والفكرية في تونس » (2) وفي بعض المقالات المنشورة في المجلاّت .

(*) هذه عينة من الباب الأول من كتاب « مع الطاهر الحداد » الذى أرجو ظهوره قريبا .

(1) قال الأستاذ المنجى الشملى فى معرض حديثه عن الوضع الثقافى عصر ئذ فى مجلة « التجديد » (فيفرى 1961 ص 26) : « وكانت الحالة الثقافية متدهورة غامضة » فهى ليست متدهورة اذا قيست بالحالة الثقافية فى النصف الأخير من القرن الماضى وقبله اذ يعتبر عصر الحداد بدون جدال عصرا خصيبا فى زيادة الاصلاح ووفرة الانتاج الشعرى والنثر السياسى والاجتماعى كما سنوضح معالمه فى هذا الفصل وبعده .

(2) طبع بالقاهرة فى سلسلة دراسات الجامعة العربية سنة 1956 .

ولئن كانت الحركة التعليمية ضيّقة نظرا لعدم اكتراث السلطة الاستعمارية بتثقيف أبناء الشعب في هذا الدّور من تاريخ تونس، فقد أخذت على كلّ حال تتسع عاما بعد عام.

ولا أدلّ على ذلك من اهتمام متزايد في الصحف الوطنية الصّادرة بالعربية والفرنسية بمشاكل التعليم في تونس. ومن حملاتها المناداة بإحداث المدارس القوميّة وتنظيم الصّادقية واصلاح التعليم في الجامع الاعظم، ويجد الباحث في تلك الصحف صدى الخصومة في لجان الإصلاح الزّيتوني بين الشقّ الذي يرى المحافظة على صبغة التعليم الزّيتوني ولا يقبل إلاّ إصلاحات طفيفة وبين الشقّ الآخر المؤيد للاصلاح الجذريّ. وهذا كله يستدعي مزيد العناية والاستقصاء في البحث.

وفي تلك الفترة تزايدت المدارس في المدن وانتشرت حتّى في بعض القرى التي لم تعرفها من قبل اللهمّ إلاّ في شكل الكتاتيب إلاّ أنّ عددها كان ضئيلا بالقياس الى مجموع النّاشئة التونسية. وهذا ما نلاحظه في الإحصائية الرّسمية التي نشرتها إدارة المعارف في سنة 1929. فقد أفادت «أنّ جملة عدد التلامذة التونسيين المسلمين بلغت قريبا من ثمانية وعشرين ألفا في المدارس الابتدائيّة وتجاوزت ثلاثة آلاف وخمسمائة في المعاهد الثانوية غير مندرج في ذلك تلامذة التعليم القرآني بالكتاتيب وعددهم حسب ما في تلك الإحصائيات نفسها اثنان وعشرون ألفا ولا طلبة جامع الزيتونة الاعظم وعددهم في ذلك التّاريخ ألفان فتكون الجملة خمسين ألفا في التّعليم الإبتدائي وخمسة آلاف في التّعليم الثّانويّ» (1)

أمّا عدد الطلبة التونسيين المزاولين تعلمهم العالي حوالي ذلك التّاريخ في الحقوق والطبّ والصيدليّة والآداب والهندسة فهو حسب مجلة العالم الادبي مائة وخمسة وثلاثون. (2)

---

(1) محمد الفاضل ابن عاشور «الحركة الأدبية والفكرية في تونس» ص 149 – 150.

(2) مجلة العالم الأدبي – السنة الثالثة عدد 20 –.

كانت الحياة الادبية نامية عصرئذ رغم تدهور المجتمع ، يتنازعها تيّاران ثقافيان أحدهما تقليديّ متمسك بالقيم الحضارية البالية والمفاهيم الثقافيّة التقليدية ، مصاغ في قوالب عتيقة ، مفرط في تمجيد الماضي وفي البكاء على المجد الضائع معرض أحيانا اعراضا بغيضا عن روح التّجديد ومتطرّف في ازدراء التمدّن ، وقد مثّل هذا التّيّار الثّقافي شعراء محافظون أشهرهم محمد الخضْر بن الحسين والشاذلي خزندار وأبو الحسن بن شعبان والشيخ محمد الصالح النيفر ومحمد الفائز القيرواني والطّاهر القصّار ومصطفى آغه . وهذا الاخير المولود في قصر جده وزير الحرب في عهد البايات قد حكم على مثال الرّقيّ بالاحتضار في مُطوّلة له بهذا العنوان (1) نقتطف منها الابيات التّالية

فَانْتَبِهَا بَنِي الرّقِيِّ فأنْتم قَدْ بَلَغْتُمْ من الذّرَى أعْلاها
وَأَتَى دَوْر الانْحِدار وهَذي هُوّة الانْحطاط تَفتّح فَاهَا
فلقد خَطّ دَهْركم صَفَحَاتٍ فَهِمَ اليومَ ذو الحِجَا فحْوَاها
وقَضى بَعْدَ أنْ تمعّنَ فيهَا أنّ أرْقى خليقةٍ أشْقَاهَا

نعم خضع أدب المحافظين للمناسبات وغلب عليه الاستعطاف وأملي قسم كبير منه التكسب بمدح البايات والامراء والوزراء والاعيان. بيد أنّه لم يكن خاليا من المشاعر الاجتماعية والنفحات الوطنية الإصلاحية، وهؤلاء المحافظون في الادب لا يتصوّرون إصلاحا اجتماعيا ولا حركة سياسية ولا نهضة ولا حرّية ولا علما إلاّ عَنْ طريق الدّين (2). ولقد ساهم أحدهم وهو الشّاذلي خزندار بجانب هامّ من شعره في تحريك سواكن الرّقدة رألهب نفوسهم بالدّعوة الى الثورة على المستعبد المستبدّ وثبّت في قلوب التونسيين إرادة الحياة مما يعرب لك عنه في الابيات التّالية التي قالها في ظروف سياسية عصيبة أيّام معركة الجلاّز سنة 1911 ومخلّفاتها :

---

(1) ز. ع. السنوسي « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » ج 2 ص 39 — 41 .

(2) هذا الرأى أبدع ز. ع. السنوسي في تعليقه على مذهب الشاعر صالح النيفر السياسي « الأدب التونسي » ج 1 ص ؟ وهو ينطبق على جميع الأدباء المحافظين في ذلك الدور من تاريخ تونس .

مَا كانَ في كفي الحُسام وإنَّمَا ... من تحت فكي حيَّة رَقْطَاء
سَأهزّ من قَوْمِي الذينَ بلوتهم ... ما تَرْتَضيه الهمَّة القَعْسَاء
عَرَبيَّة الإحسَاس في نَخَوَاتِها ... لله تلك النَّخْوة العرباء (I)

وكثيرا ما يسير الشاذلي خزندار في بناء قصائده الوطنيَّة التي يستنهض بها التونسيين الخادرين عصرئذ على منوال شعراء النَّهضة المحافظين التقليديين، فيستهلها بالتَّغنِّي بحضارة العرب المشرقة وبمجد البلاد التليد ثم ينتقل الى ذكر الحالة المنحطَّة في تونس عصرئذ ويرسل زفرات تحسر وتألم لمرأى شعب سائر نحو الرَّمس ويُهيب به في مرحلة أخيرة أن يفكّ عقال الجمود وأن ينهض بالبلاد في دائرة تعاليم الدّين وسنة السلف الصّالح فاقرأ معي هذه الابيات التي يستنهض بها أمَّته في سنة 1920 .

يأمَّة شهد الكتاب بفضلها ... مذ قال فيها أخرجت للنَّاس
يا أيها الشَّعب الكريم تيقظا ... هبَّت رياحك والزّمان مُواسي
فاصرف لعصر الرّاشدين بصيرة . ... وانظر بها الطود العظيم الراسي
كانوا وكان الامر شورى بينهم ... كانوا وكان الحقّ غيرَ مداس
الدّين رائدهم وهم حراسه ... فافتح عيونك لاتَ حين نعاس

ويحرّك هذا الشّاعر في نفوس أحرار تونس شعور الغيرة على الوطن المداس ويستفزّ حميّتهم ليكسّروا قيود المهانة ويطيحوا بسلطان الاسعتمار في قطعة شعريَّة حماسيَّة متوقدة بعنوان « ذكرى الزّعيمين »

الحُرّ من لا يستكين لمُرْهِق ... فعَلَيْك خَصمُك مِم وَيحكَ تتقي
اصدَعْ بحقِّك في الاباة لاَ تقلْ ... (إنَّ البلاء موكّل بالمنطق)
فإلامَ تستَجْدي وحقك بين ... شُلَّتْ يَد تمتد للمتصدّق
تبا لمَن ألِفَ الخنُوع لغاشم ... ما تلكَ إلاَّ شيمة المُتَملّق
أوْلَى وَأحْرَى أن يَبيت على ظَمَأ ... مَنْ ظَلَّ مِنْ مَاء المهانة يستقي

(I) « الأدب التونسى فى القرن الرابع عشر » ج I ص 37 .

فيمَ احتِمالُكَ والكوارث جمَّة ... ممَّن يرَاك بنظرة المتفوّق
صمّ وعمي ساخرين تطاولا ... منا كأنَّا في الورى لمْ نخْلق
لا تشكهم إنّ الشَّكاة مذلَّة ... وإلى مراقي العِزّ وحدك فارتق
مستضعف من باتَ يرقُب مِنَّة ... مِن أهله أوْ مِن عَدوّ أخرق
اسلك لصالحك السَّبيل بحكمة ... وافتح بعزمك كل باب مُغلق
وهما الطريقان : السعادة والشَّقا ... فكن السعيدَ إذا أردت أو الشقِي
واحمل بِفُولاَذ العزيمة وقرها ... واصعد مع الباري المطلّ وحلق(1)

والتيَّار الثقافِي الثاني الذي ظهر في الثلث الاوّل من هذا القرن تجديدي يمثله نُخبة من الشبَّان الزيتونيين الايقاظ ذوي الثَّقافة العربية المُلقَّحة بالافكار العصرية المتسرّبة اليهم من عيون الآثار الادبية والفكريَّة الغربية عن طريق الترجمة لجُلهم أو من النَّص الفرنسي مُباشرة لمن تيسَّرت له معرفة يسير من اللغة الفرنسية كسعيد أبي بكر وعلى الدّوعاجي . ويمثل التيَّار التجديدي بالإضافة إلى هذين العلمَيْن إمَام المُجدّدين في الادب التونسي المعاصر وهو أبو القاسم الشَّابي ومن لف لفه من الادباء الذين التفوا حول مجلة « العالم الادبي » مِنْبَر الادب الحيّ عَصْرَئذ أمثال صاحب تلك المجلة زين العابدين السنوسي والطَّاهر الحدّاد المفكّر الإجتماعي ومصطفى خريف ومحمود بورقيبة وغيرهم .

وممَّا يُلفت نظر دارس الحركة الفكرية في هذا الدّور من تاريخ بلادنا تأثير النهضة العلمية والادبية والحركة الاصلاحية بالمشرق في التونسيِّين الذين كانوا يطالعون بشغف كبير الصحف والمجلات والكتب الواردة عليهم من البلاد العربية ممَّا وسَّع آفاقهم وفتح بصائرهم على طرق جديدة في التفكير والبحث ووجههم الى مواضيع اجتماعية وسياسيَّة وإصلاحيَّة كانت حديث العصر في الشرق العربي خاصة والعالم الإسلامي عامَّة .

---

(1) الأدب التونسى ج 1 ص 33 · وانظر ديوان الشاذلى خزنه دار الجزء الثانى مطبعة العرب 1344 هـ·/1926 م· ص 29 « ذكرى الزعيمين » وهما عبد العزيز الثعالبى واحمد توفيق المدنى اللذان اضطرا الى مغادرة تونس·

ودخلت تونس عن طريق المراسلة والمجلاّت والكتب والصحف التيارات التجديدية في الادب التي ظهرت في المشرق عند شعراء النهضة وجماعة الديوان وأبولو وفي أمريكا عند جماعة الرّابطة القلمية والعُصبة البرازيلية . وكان الشّابي معاصر الحدّاد — وهو أحسن من يمثل هذا التيّار التجديدي في الادب التونسي المعاصر — متّصلا متين الاتّصال بأحمد زكي أبي شادي صاحب مجلة «أبولو» التي نشرت له عدّة قصائد (1) يظهر تجديدها في المضمون والاخراج وتتميّز بالوجدان الذّاتي والتعبير الرّمزي والتأمّل الصّوفيّ الحالم والهروب الى الطبيعة والمرأة . وظهر أثر اطلاع الشابي على آراء المجدّدين في الادب العربي وعلى روائع الادب الغربي المترجمة في شعره ونثره ، وأثر هو بدوره في شعراء المشرق كمحمد عبد المعطي الهمشري الذي نسج على منوال قصيدة الشابي « صلوات في هيكل الحبّ » قصيدته « الى جتا الفاتنة » ويكفيك لتتبيّن مدى تأثر الشّاعر المصري بالشاعر التونسي أن تقرأ له هذين البيتين :

أنت كلّ الحياة ... أنت كياني   أنت روحي أبصرتها في سباتي
أنت وحي مجسّد أنت لحني   يا سماءً على سماء حياتي

فهما يقابلان بيتي الشّابي :

أنت فوق الخيال والشعر والفنّ   وفوق النّهى وفوق الحدود
أنت قدسي ومعبدي وصباحي   وربيعي ونشوتي وخلودي

ويعتبر معاصر الشّابي سعيد أبو بكر المولود ببلدة المكنين سنة 1899 مجدّدا في شعره من حيث المضمون والقوافي والاوزان إذ

(1) نشرت لأبى القاسم الشابى فى المجلد الأول من مجلة أبولو القصائد التالية : « صلوات فى هيكل الحب » و « السعادة » و « الأشواق التائهة » و « الجنة الضائعة » و « أنا أبكيك للحب » و « الأبد الصغير » • وفى المجلد الثانى نشرت له « قلب الأم » و « فى ظل وادى الموت » و « الصباح الجديد » و « الحانى السكرى » و « الناس » و « الرواية الغريبة » و « أيتها الحالمة بين العواصف » و « صوت السماء » و « من أغانى الرعاة » و « الى طغاة العالم » و « الايمان بالحياة » و « نشيد الجبار » • أنظر : عبد العزيز الدسوقى « جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث » ط• القاهرة 1960 ص 369 •

كثيرا ما تصرّف في البحور الخليلية سعيا وراء إيجاد الترنم الخفيف والايقاع الموسيقي العذب ولا يستغرب ذلك من شاعر فنّان مولع بالعزف على الكمنجة (1) وهو مجدّد في نسجه وتركيبه (2) ميّال الى الموشّح الذي اتّخذه هيكلا لقصائده ، وأمّا مِنْ حيث الاغراض فقد تجاوب مع شعبه في أفراحه وأتراحه وعالج المواضيع التي شغلت بال إخوانه في الوطن كإصلاح التعليم وتحرير المرأة وحبّ الإنعتاق والتّوقان الى مواكبة ركب الحضارة ، ورثى ضحايا الكفاح الوطني كما في قصيدته « واقعة بنزرت » (السعيديات ص. 75) وحرّك سواكن التونسيين والمشارقة اذ في شعره نزعتان : قومية وعربية ودعا الجميع الى نفض غبار عصور التّدلي والى قطع سفر ليل ركودهم الطويل في عديد القصائد ومن بينها « أنت روح ذلّوها بالجماد » (السعيديات ص. 35) و« في سبيل الدستور » (ص 71) و« اقتلوني » (ص. 78) و « أنا ووطني » (ص. 84) و « صدى صوت الشّرق » ص. 27) و « الشرق والسّماء » . وفي هذا القصيد الاخير يحثّ الشرقي على التعلق بأسباب الحياة والمعالي بقوله :

ألا أيها الشّرقي هل منْ تأثُّر ... يُحرّكُ ذاكَ القلبَ؟ يكفي من الذعْر
وهَلْ لكَ من هذي الرّزايا مُنبّه ... وهلْ لكَ عند المدلهمات من عذْر؟
الى القُبّة الزّرقاء سعيا إلى السّما ... الى مجلس ما بين أنْجمها الزّهر
تَعَلّقْ باسباب المعالي فإنّما ... اليك العُلا تُبدي الرّضا لا الى الغير
وقطّع يدا أمست تقطع بالمُدى ... فؤادَكَ يا لله من ذلك الامـر
هي الغفلة العظمى تفاقم خطبُها ... فنابَكَ منها الخُسر أعظم بذا الخسر
هي الدهشة الكبرى فإمّا زَوالُها وإمّا ... زوال الشرق في غصنه الزهري (3)

---

(1) أنظر مقدمة ديوان سعيد أبي بكر « السعيديات » بقلم راجح ابراهيم ص 13 .

(2) ز. ع. السنوسي « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر » المجلد الأول ص 99 .

(3) من قصيدة « الشرق والسماء » السعيديات ص 24 .

ويُسمع سعيد أبو بكر بنّي وطنه في قريضه نغمة اجتماعيّة جديدة على غرار شعراء عصر النهضة في الشرق والغرب الاسلاميّين ويدعو شعراء تونس الى الثورة على الادب القديم والى نبذ قوالبه العتيقة ويزهّدهم في التّوافه والاغراض الرخيصة ويرغبهم في خدمة الوطن بألسنتهم وفي استنهاض الغافلين الخامدين بصولة أشعارهم النافذة الى النفوس اعمق ممّا تنفذ السيوف الى الجسوم وفي تحقيق نهضة أدبية كما في قصيدته « أيُّها الشعراء الى نهضة بالشعب قبل مماته » (السعيديات ص. 44) حيث يقول :

أساعدكم يا أهلَ ودّي بساعدي ... وليس بكاف أن تُصافحكم يَدي
وأهدي لكم بعض النصيحة إن في ... سُروري الى يومي بُكائي على غدي
ولست بشاك ، لا ولست بآمر ... ولكنّني آت بحَبْل التّعاضد
فكونوا لما كنتم ... فلستم بعابر ... سبيلا بليل خانه نور فرقد
ولستُم بأرباب الحُسام وإنّما ... (اشارَتُكم) فوقَ احمرار المهنّد
وصولتُكم في الحيّ ربّ تزلزل ... يمازجهه فلتَفْهَمُوا لغة اليد
دَعُونا من الاطناب في وصف غادة ... دَعُونا من الإطناب في مدح سيّد
وكيف بدَتْ (سلمى) وكيف تكللتْ ... بكفّ خضيب أو بحلي وعسجد
وهذي تَفُوق الغُصْنَ قدّا وقامَة ... وهذا شقيق للسها والفَراقد
فتلك ـ لعمري ـ حبّة اثر حبّة ... تصيب المعالي مقذفات بصائد
وفكر جميل في المساوي قد اغتدى ... ضحيّتها كالخالب المتلبّد
ووقت ثمين ضائع وهو صالح ... وحبر واوراق ضحيّة فاسد
فمن ذا أراكم شاكرين تكلفا ... وعهدي بغير الحرّ غير ممجّد
وأيّ فقيد تندبون غيابه ... وربّ انتفاع في احتجاب المعاند
جدير بهذا خادم لبلاده ... وفي غير نفع الشعب غير مكابد
إليكم (سلاطينَ الكلام) مقولة ... وهذا لكم كالخاضع المتعبّد
فلا تحرموا تلك (الرعيّة) حقّها ... ولا تجعلوها في بقاع المفاسد
ولا تنظموا عِقدا بها متكاملا ... يفوز به أرباب مَكر مجدّد
أضاقت مواضيع الكلام فسيحة ... وكل سبيلا نافعا غير واحد

خذوا تلكم الاقلام حُطوا رحالكم لديّها ! وقُومُوا للهناء المخلّد
وصيحُوا بأقوام حيَارى وقوّمُوا فسادا ومُدّوا للبلاد بِسَاعِد
بذمّتكم دَيْنٌ لها وكأنّها تُطالبكم بالدّين في كلّ مشهد
حرام عليكم أن تعيشوا بظلّها ولا تسمعوها وهي مغلولة اليد
وعار عليكم أن تقولوا : حياتنا رفيقة يأس — لا قيام لراقد
الى الحزم والتّفكير في شأن أمّة سقاها كؤوسَ الويل داء التحاسد
الى خدمة الاوطان قد ضُيّع العُلاَ بنُوها وحادوا عن كمال وسؤدد
الى رفعها قد حان يوم صعودها وقد قابلت سهمَ العنا بتجلد
الى مدّها في نهضة أدبيّة بأقلامكم قبلَ اصطدام الشّدائد
الى نهضة بالشعب قبل مماته الى قطع أسباب الهلاك المهدّد
الى كشفٍ أسباب النّجاح بربّكم عسَى غافل للخير عن ذاك يهتدي
الى بثّ روح الالتحام لعلّنا بها في هناء النّفس والعيش نغتدي
الى صقل مرآة الفَخار ! الى متى يضيعُ لدينا وهو أشرف تالد ؟
إلى حثّ أقوام لنيل فضيلة تجرّ بني الانسان نحو المحامد
الى وضع أيديكم بكفّي فإنّني أساعدكم يا أهل ودّي بساعدي

وها هو الآن موشّح لشاعر الاصلاح سعيد أبي بكر فاقرأه تجد فيه تأوّهات شاعر كليم يناجي الرّزايا التي رمى الدّهر بها شعبه ليَبْلُوَه ويُوقظ رقّادَه :

إيه ! يا أفْقَ الرّزايا النّقَم لا تَخُنْ عهدي
ههنا وحدي أناجيكَ ! نعم ههنا وحدي

* * *

صُبّ ما تَحْويه مِنْ صَاب وما فيكَ من عَلْقَمْ
فوق شَعْب يَسْتَلِذّ الألَمَا والدُّجى المُظلمْ
لستَ بالآسي المداوي ... إنّما سمُّك المرهم
إنْ تكن خافت دَواهيكَ الأُمَم دون أن يُجْدي
هَهُنا وَحدي أناجيكَ . نعم ههنا وحدي

فيكَ حِبْرٌ – فيك أقلامٌ – وفي وَجْهِكَ الارشادْ
فيك طرس كله سَطْرٌ يَفِي للفتى المُنْقَادْ
فيك سَيْفٌ في يَدِ الخلّ الوَفِي يُوقِظ الرّقَادْ
فيكَ روحي ، دعْ سوى عيني تَنَمْ نَوْمَةَ اللّحْد
هُهنا وحدي أناجيك ! نَعَمْ هَهُنا وحدي

* * *

فيك قِنْدِيل بلا زَيْتٍ يَرَى نُورَه العُمْيَانْ
فيك همس قال : لطفاً ! مذْجرى فَاقِد الآذانْ
لوْ رءَاكَ الغَيْرُ حَتّى في الكرَى مِن بَنِي الاوْطانْ !
يا صَبُوحَ الوجه ! ياحَافِي القَدَمْ شقْوَتِي ! سَعْدِي ! (1)

وهذه الشّكوى المليئة بالالم المَهْمُوس مِنْ جُمُود شعبه نَجِدهَا في قصيدة عذبة التوقيع بعنوان « أنتَ روح ذَلّلوها بالجماد » (2) مطلعهاً :

غنّ ياشحرور لا تَنْتَحِبْ مَعِي أنتَ لمْ تُخْلَقْ مَعِي للانتحابْ
خَلّ دَمْعِي سَاكباً من مدمعي واحتفِل للطّلّ منْ دَمْعِ السّحابْ

واقرأ من شعره معسوله في قصيدته « إلى الدّرس » (3) حيث يستوقف سائقَ العيس – وهو رَمْز المُتخلّف عن ركب الحضارة – ويُهيب به أن يَتْرك ناقتَه العجفاء ويواصل السّيْرَ مُسرعا في طريق الرّقيّ ، مغالبا الزّمان ، ناهضا بأمّته المتدلّية خادما الاوطانَ بصدْق وعزيمةٍ :

ياسائقَ العيس قفْ ! ياسائقَ العيس ولا توَاصل مسيرا بعدَ تَعْريس

---

(1) « أفق الرزايا » – السعيديات ص 29 .
(2) السعيديات ص 35 .
(3) السعيديات ص 60 .

ماذا تؤمّ بذاك الظعن مفتخرا　　　بناقةٍ مثل أعجاب الطواويس
وزيفُها يومَ دبت بعدَ راحتِها　　　هو الوَجيف إذا زادت لتغليس
دَعْهَا ودَعْ ضَمْرا واركب بباخرةٍ　　　تَطْوي الفيافِي كمَاطي القراطيس
واطلع الى الجوّ في المنطاد واقذف بما　　　تَلقى من النّار فيها كلّ عتريس
ولا تَقُلْ عجبا فيما تُلاقي ولاَ　　　تضربْ برَبّك تخميسا لِتسديس
هي (المعارف) كمْ للعِلم من خلل　　　مطهّرات ومنها كل تقديس
فارقْ مكانَكَ وَارْم الرّيمَ مندفعا　　　لجيرة الخيس واصحب ساكن الخيس
هذا يقيك من الليلات مزعجها　　　وذاك آلة وَيْلٍ عند ابليسٍ
ماذا أراك وَها قد كنت تشربُها　　　مُؤَملا في بفراغ الكأس والكيس
ماذا تُؤَمِّل أن تلقى نتيجتَه　　　في شارعِ بين تلويثٍ وتدنِيس
ولا يَجرّك نحو الكدّ من كسل　　　صوتَ الاذان ولا صوت النواقيس
وهل كفاكَ بظلّ الدوح متكئا　　　تشمّ وردا وعودَ اليأس والميس
تشدّ شعرك كالخزّاف يرمي الى　　　تلاحُم الطّين يبغِي حسن تمليس
وما افتخارك إلا بالسجوف وما　　　تَهتم إلاّ لتبديل القناديس

* * *

بَادرْ الى الدّرس ! إنّ الدّرس يعشقُه　　　منْ ذاق لذّته في يوم تدريس
وارجَع لغُصنك، ذاك الغصن ! متخذا　　　وسائل الريّ لا تركَنْ لتَيْبيس
ماذا تريد بهذا العَيش يا أملِي　　　ورَأسُنا بين تقريع وتنكيس
فانهضْ بحقّك وارفع أمّة سقطت　　　واخدم علاها بلا غشّ وتدْليس
وارهن حياتك في دين السعادة لا　　　ترهن عقارك بخسا بعد تفليس
هذي بلادك تنْعى موت راحتِها　　　وفي غدٍ سوف تنعى كلّ تأسيس
فانظر نَوَاميسها، بالله، حتّى إذا　　　راقتْك ! فاسعَدْ بهاتيك النّواميس

ومثل ذلك الشعر الوطني السياسي لا يحصى كثرة في الجزء المطبوع من ديوان سعيد أبي بكر وفي دواوين شعراء عصره كديوان الشاذلي خزندار وفي مختارات زين العابدين السنوسي « الادب التونسي في القرن الرابع عشر » . ولو تتبّعتَ شعراء ذلك العصر ودرستَ أدبهم

لوجدت الإلتزام التلقائي مركزه واتبيَّنت أنّ نطاق الشعر اتّسع يومئذ في تونس المتملصة من أوحال الماضي الآخذة في النهوض وتقمّن الى جانب المواضيع الوجدانية والتقليديّة المحضة أغراضا اجتماعيّة ووطنيّة نافقة في النوادي الادبيّة والسياسيّة وبين طبقات الشعب . فقد تسابق شعراء ذلك العصر في إجادة القول في الاغراض الاصلاحيّة وأصبح شعرهم رمز أماني الشعب وأحلامه وندبة أحزانه وآلامه وعنوان طموحه الى الحياة ، والشعراء الذين تعلّقوا بالفكرة الاصلاحيّة وبالبعث والرّوح القوميّة في تونس يومئذ واستنهضوا بني وطنهم الى استرجاع المجد الضّائع وهزّوا النّفوس الخامدة كثيرون ناهيك بمن ذكروا في كتاب الادب التونسي في القرن الرّابع عشر » بجزأيه فعددهم بلغ ستة وعشرين ، وأشهرهم جميعا أبو القاسم الشابي شاعرنا الوطني بلا منازع في عديد القصائد التي بعثت في المناضلين التونسيين النور والنّار مثل القصائد التي تحمل عناوين « إلى الطّاغية » (ديوان ص 43) و « ياابن أمسي » (ديوان ص 167) و « سرّ النهوض » (ص 119) و « الى الشّعب » (ص 175) و « إلى طغاة العالم » (ص 185) وبالخصوص « إرادة الحياة » (ص. 167) التي انتشى بها التونسيّ الثّائر ولهج – وهو يواجه نار المستعمر ودماره – بمطلعها :

إذا الشّعب يوما أراد الحياة   فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ للّيل أن ينجلي   ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة   تبخّر في جوّها واندثر

ودونك هذه الابيات التي يحثّ فيها من يدعوه ابن أمّه على السّير في سبيل الحياة ، سبيل الانطلاقة الى النور ، فاقرأها تسمعك معسول النّشيد :

ألا انهضْ وسرْ في سبيل الحياة   فمن نام لم تنتظره الحياه
ولا تخشَ ممّا وراء التّلاع   فما ثمّ إلاّ الضّحى في صباه
وإلاّ ربيع الوجود الغرير   يطرّز بالورد ضافي رداه
وإلاّ أريج الزّهور الصّباح   ورقص الاشعّة بين المياه

وإلاّ حمام المروج الأنيــــق   يغرد منطلقا في عنــاه
الى النـور ! فالنـور عذب جميل   الى النـور ! فالنـور ظلّ الإلـه

وشقّ صالح السويسي القيرواني (1878 — 1943) طريق الإصلاح هو الآخر وتغنّى بإحياء المجد الإسلاميّ في عديد القصائد ومنها مطوّلة بعنوان « انهضـي » (1)

الى متى أمّةَ الإسلام في كــرب   وقد أحاط بكم جيش من النّوب
والفكر أضحى من التأخير في تعب   والغير في الجدّ أمّا نحن في لعب

ما آن أن تنهضي يا أمّة العــرب

ودعا النّاشئة العالمة في سنة 1927 الى التعاضد في خدمة الاوطان والى إنارة عقول اخوانهم الغافلين الجاهلين بما اكتسبوه من معرفة حتّى يلتحقوا بركب الشعوب الحيّة :

أوطانُكم في حاجة لعلومكـم   أوطانكم حفّت بـهـا الارْزاء
فتداركوا صرحا بنته جدودكم   فلقد تداعى من علاه بنـاء
علم بلا نفع كثمرة حنظــل   صبّت على أغصانهـا الاـ..واء
تسقى الزّلال فيستحيل مـرارة   بشبت ثمارا ضاق منهـا فضاء
في الحشر يسأل عن تأخر حالنا   وفساد نا العلماء والامــراء
لا تجمدوا وخذوا معارف عصركم   إنّ الحياة مع الجمود فنـاء
قد سارت الرّكبان في سبل الحيا   ة وركبُنا قد مَسّـه الاعياء
حثوا ركاب العزم لا تتخلّفـوا   بمفـازة سكّانُهـا جبنـاء
فإذا تخلّفتم وأنتم عُـزّل   هجم السّبـاع وَمُزّقتْ أشلاء
أنتم بنو العُرب الا لى اصلاحهم   شهدت به الخضراء والغبـراء
لكنّنا لمّا تناثر عقـدنـا   قوم بعقر ديارنا غــربـاء
كثر التوجع والبكاء بنا وهل   يُغني على مجد أضيع بكـاء
بالعلم يرجع كلّ مجد ضائـع   ويعود بعد الظلام ضياء (2)

---

(1) ز. ع. السنوسي « الأدب التونسي » ج 2 ص 244 .

(2) من قصيد « الى الناشئة العالمة » لصالح السويسي ـ أنظر « الأدب التونسي » ج 1 ص 238 .

وسبر الشّاعر صالح النّجّار القيرواني حالة شعبه الرّاكد ولمّا أدرك أنّ سببَ تأخره جهلُه وتشتّت شمله ونبذه دينَه نشر في جريدة المشير بعدد 26 مارس 1911 قصيدا طويلا ، هو أقرب الى النّظم من الشّعر لحثّ هذا الشّعب على إصلاح حاله بطلب العلم وبتوحيد صفوفه والاعتبار بالشعوب النّاهضة والتّمسّك بالدّين ثمّ وازن بين ماضيه المَجيد وحاضره المتدلّي ليحرّك فيه إرادة الحياة يوم كان مداسا يقاسي مخلفات معركة الجلاز :

إلى كمْ تنادي القومَ والقوم نُوّم ... أفي القوم منْ يصغي الحديثويفهم
أراك تُجيل الطّرف جولةَ حائر ... لعلّك تُحظى بالذي أنت رائم
فما أحد لبّاك منهُم كأنّهُم ... ألمّ بهم خطب من الجهل مؤلم
ألم ترَ أنّ القوم ماتوا بأسرهم ... بَلى إنهم أحياء لكنّهم عمُوا (1)
لقد فقدوا الإحساس والرشد والحجا ... ولم يبق فيهم منْ إليْه تُتَرْجم
فكيف تناجيهم وتحسب أنّهم ... قد انتبهوا والجهل قد ساد فيهم
سبرت أهيْلَ الحيّ طُرّا فلم أجد ... دَواءً لهم غيرَ الذي أنتَ تعلم
ألا وهو أن يَجنوا ثمار معارف ... بأيدي اتحادٍ مثل قوم تقدّموا
أولئك آبائي بهم كان بيتنا ... مشادا(2) ونحن الآن نبني ونهدم
أولئك آباء أقاموا دعامة ... لشدّ أساس الدّين خشيةَ يهدَم
أولئك آباء رضوا بيع انفس ... لاحياء هذا الدّين والثغر باسم
ألا أيها الابناء مالي أراكمُو ... سرى الجهل فيكم مثل أن يسري الدم
ألا أيها الابناء قدضاع مجدكم ... كما ضاع عقد لم ينظمه ناظم
ألا فانظروا يا قوم كيف تركتمو ... يد الجهل تعلو فوقكم وتخيّم
ألا فانظروا يا قوم كيف تفرقت ... جماعتكم وانحلّ ذاك التنظم
ألا فانظروا كيف تقدّمت ... أناس وأنتم في المضاجع نُوّم
أضعتم بني الاسلام مجدا مؤصلا ... وخضتم بحور الجهل حتى غرقتم

---

(1) في الأصل « ولكنهم » وليستقيم الوزن ينبغي أن نقرأ « لكنهم » .
(2) جريدة المشير 26 مارس 1911 « تيقظ النيام » لصالح بن على النجار القيرواني .

بلغتم ذُرى مجد وحزتم مكانـة ... وكل فخار بالتّقدّم نلتمـو
فما لكم أصبحتم اليومَ مُثلـة ... يُشار إليكم بالاصابع هاهمو (1)

....

وفي إطار الشعر السِّياسي الوطني تَدْخُـل حماسيات الهادى المدني (المولود سنة 1901) المشبعة بروح وطنية ملتهبة، الطافحة بالشكوى الحارّة من مجتمعه الرّاكـد . فاسمعه يدعـو أخاه في الوطن الى التيقظ وترك الخمول وينتقد خنوعه للمستعمر المستبدّ ويصيح به عندما يرى الخطب مستفحلا بتونس :

ألا أيها الوطنيّ شمّـر ... فإنّ بلادك الخضرا تعانـي
كفى ما قد مضى فانهض وكسّر ... قيود الذّلّ عنها والهـوان
أرى الاسلام شمّر مستعـدّا ... وأنت كما عهدتك في تـوان
ألا خلّ البكاء فليس يجدي ... بكاؤك فلتدعْـه الى الغوانـي
ودع عنك التّأسف في الزّوايـا ... فذاك لَدَيّ أحْرى بالجبـان
وذر عنك الضغينة والتّعـادي ... فقد ولّى زمان الاضطغـان
لقد أصبحت عبدا مستـذلاّ ... تطأطىء للاجانب بامتهـان
تذل وأنت في بلد أتتـه ... جدودك قبل بالسّيف اليماني
هلمّ فزعزع الدّنيا بصوت ... تخرّ لـه جبابرة الزّمـان
إذا لم تنتزع ذلاّ وشَيْنـا ... فإنّك والجماد إذن سيـان
أراهم أرهقوا الخضـرا كأنّا ... مع الاقوام في حرب عـوان
فكم وأدوا بريئا ذا عيـال ... لانّه لم يدن يوما لجـان
فبات بنوه والاهلون تبكـي ... نجيعا سال فوق الخدّ قـان
وكم شنقوا فتى لوخاض يوما ... طعانا كان خوّاض الطّعـان
يرومون القضاء على الاهالي ... لكي يتربّعوا في ذا المكـان

(1) أنظر : ز٠ ع٠ السنوسي « الأدب التونسى » ج 1 ص 164 وما بعدها ٠

ومـا هـم مُدْركـو ما أمّلوه   بتونس أو يؤوب القارضـان (1)

وتسود بعض شعر أبي الحسن بن شعبـان مسحـة تألّـم من حال قومه النيام كما في قصيدته « ألا يقظـة » حيث يناجي تونس على شاطىء بحرها ويستنهض بنيها :

أتونس ما لبنيك رقود   بعصر تيقّظ فيه الزنوج
فليست لهم في الحياة جهـود   وليس لهم في المعالي عروج
كأنهمو في الزّمـان نقـود   علاها الصّدا فأبت أن تروج
أيرقى سواهم وهم في انخذال   ويُروى بماك وهم فى ظمـا
ويحظى بتحصيل علم ومـال   وقد بات معظمهم معدمـا

* * *

ألا إنّ هذي الحيـاة جهـاد   يداس بميدانه ذو الكسل
اذا لم يكن لك فيها اجتهاد   فمالك في خيرها من أمـل
فما نهضة قط فيها بـلاد   وكان النهوض بغير العمـل
ألا يقظة فصروف الليـالـي   أقامت بأرجائنا مأتمـا
ألا هبّة نحو صرح المعالـي   تكون العلوم لها سُلّما (2)

وترنّم لحظة بموشح مأنوس اللفظ ، عذب النغم لحسين الجزيري الاديب والصّحافيّ المعروف (3) ففيه شكوى مستسلمة وزفرات قلب متألم من حالة شعب يُسام العسف وهومع ذلك جانح الى اللهـو :

سَائِلُونِي إنْ رأيتُم كدري   وأرَدْتُم وقفة عَنْ خَبَرِي
أنَا مَهْمُوم حسير الطّرف مَا   دامَ قَوْمِي هَمهم في الوَتَر

* * *

عَجَبِي لا يَنْتَهِي مِمَّا أرَى   مِنْ نُفُوس في الملاهي مَارِحَه

---

(1) من قصيد « فاجعة المرسى » شعر الهادى المدنى ـ « الأدب التونسى » ج 1 ص 73 ٠

(2) المرجع السابق ص 60 ـ 62 ٠

(3) هو صاحب جريدة النديم الصادرة لأول مرة عام 1921 ومحرر افتتاحيات « اللواء » التونسية 1910 ومراسل « الفاروق » الجزائرية وكاتب « المنار » التونسية ٠

أمّة قد حلّقَ العسفُ بهـا وهي للّهْو بجِدّ جانحـه
مَا رأتْ مَوْقفَهَـا بين المَلا ما رأتْ تلكَ العُيونَ الطامحَه
ما رأت كيفَ السوى يرجو العُلا وهي في بحر التّواني سابحَه
ليتَ شعري كيف حلّت يا تُرى نغمة العُود مكان النّائحَه ؟
حق للاجفان أن تسْقِي الثرى وعجيب للثغور المازحَه

* * *

فهي والله أهـاجَتْ فِكـري وأطالتْ بالقَوْمِي سَهَري
سَائِلُونِي إن رَأيْتُم كَدَرِي وأرَدْتُم وقفة عن خبري
وأنا مَهمـوم حسير الطرف ما دام قومي همهم في الوتر

وليس المقام بسامح لنا أن نتبسّط أكثر في استعراض شعر البعث وبوادر النهضة في تونس ، فلنطو سجله مُرجئين الى الباب الثاني النّظر في شعر الطّاهر الحداد السياسي الاصلاحي في إطار نضاله السياسي العام .

وفضلا عن النّهضة الشعريّة في الثلث الاوّل من القرن العشرين لا بدّ من الاشارة ههنا الى أنّ ذلك الدّور من تاريخ تونس امتاز بوفرة الصّحف والمجلات وتعدّد المطابع ، ويكفي لتتبيّن النّشاط القلمي عصرئذ أن تعلم مثلا « أنّ عدد الدّوريات العربيّة بين مجلة وصحيفة ما بين سنة 1888 وهي سنة بروز الحاضرة وسنة 1909 بلغ خمسا وأربعين نشرة ، وتسبّبت كثرتها في تعدّد المطابع فأنشئت مطابع عربيّة زيادة على المطبعة الرّسميّة » (1).

وقد انتعش النّثر والشّعر بظهور المجلاّت قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها كالفجر والبدر والاداب والمنير والعرب والسّعادة العظمى وشمس الإسلام والمجلة الزّيتونيّة ونشرة الجمعية الخلدونيّة والمجلة الصّادقيّة ومجلة خير الدّين والعالم التي أصبحت العالم الادبي فيما بعد وغيرها كثير وأثرت ظروف الحياة الاجتماعية والسياسيّة والوضع الاقتصادي والثقافي في النتاج الادبي والكتابة بعامة فبدا ذلك واضحا في المضمون الشعري وفي مقالات الصحف والمجلات.

(1) الفاضل بن عاشور « الحركة الأدبية والفكرية في تونس » ص 70 — 71 .

وقامت النوادي الادبية في العاصمة وفي بعض المدن الاخرى بنشاط هام ، وكانت جمعيّة قدماء الصادقيّة تستدعي مشاهير الكتاب والنقّاد ورجال الفنّ الفرنسيّين والتونسيين لالقاء محاضرات باللغتين العربيّة والفرنسيّة. ومن أهمّها المحاضرة التي ألقاها أبو القاسم الشّابي بعنوان « الخيال الشعري عند العرب » (1) وبشر فيها بمفاهيم ومقاييس أدبيّة جديدة أثارت حفيظة الادباء المتزمّتين في تونس يومئذ . «النّادي الادبي لقدماء الصّادقية قد وسّع آفاق الطّاهر الحدّاد كما وسّع آفاق أبي القاسم الشّابي بفضل ما وجداه في مكتبته من ترجمات لمؤلفات أجنبيّة ، وفي هذا المنتدى كان يلتقي الزّيتونيون والمدرسيون ليتبادلوا الآراء في شتّى المواضيع وكانت الثقافتان الشرقيّة والغربيّة تتلاقحان هناك وكان الزّيتونيون يتأثّرون بأحاديث الشباب المدرسي المتفتّح الآفاق ، المتحرّر في تفكيره ، والمتشبّع بالثقافة الفرنسيّة . (2)

وكذلك ساهمت الخلدونيّة في نشر الثّقافة الحية وفي تهذيب الذّوق الادبي بسلسلة محاضراتها ودروسها ، ولعبت حسب شهادة « ويليام مرسي » دورا هامّا في نشر الثقافة العصريّة وخاصّة الفكر والادب الفرنسيين بتونس . (3) وكان روّادها يجدون في مكتبتها بعض التّرجمات لمؤلفات كتّاب غربيّين من دراسات وقصص ودواوين شعريّة وغيرها .

ونظمت جمعيّة التّرقّي الفرنسية إذّاك ندوات ومحاضرات ، وكذلك قصر الجمعيات الفرنسية . وكانت أقلام الادباء ورجال الفكر وألسنتهم تتغنّى بعزّة الماضي لا لمزيد تخدير الرّقدة بل لتحريك سواكنهم ، وتحثّ التونسيين على النهوض واقتفاء أثر الامم الحيّة ثمّ تشيع روح الادب القوميّ ، فنتج عن ذلك أدب ملتزم لمشاكل الامّة ، متجاوب مع انفعالات الشّعب ، مبشّر بصباح جديد .

---

(1) طبعت المحاضرة لأول مرة سنة 1929 ثم أعادت الشركة القومية للنشر والتوزيع طبعها سنة 1961 .

(2) Mhammed Ferid Ghazi « Le milieu Zitounien ... » (An-Nâdi Al-Adabi), Cahiers de Tunisie, 4e Trimestre 1959, pp. 466-467.

(3) المرجع السابق ص 458 — 460 .

ولا سبيل بعد هذه المقدّمة العامّة الى انكار وجود نشاط أدبي وفكريّ متمخض عن الوعي القومي الذي بدأ يتبلور وعن التحفز للنّهضة في حياة الطّاهر الحدّاد . فمن محيطه الاجتماعي والاقتصاديّ والفكريّ والدّينيّ أفاد صاحبنا أدبا وتفكيرا قوميين واجتماعيين مطبوعين بطابع الانسانيّة .

تجلّى لك الآن أنّ هذه الفترة من تاريخ بلادنا جديرة بالعناية وأنّ حوادثها السياسية وجوانبها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة جدّ مفيدة لإرسال أنوار على شخصية الاديب المناضل والمصلح الحازم الطّاهر الحدّاد وعلى نتاجه الادبيّ والفكريّ ، فقد عاش في خضمها وتفاعل معها ولعب أثناءها دورا هامّا نوضّحه في الابواب القادمة .

أحمد خالد

★ طالع في الأعداد المقبلة ★

- « **متوظف تونسي في دولة القرمانليين** » بقلم : **محمد محفوظ**
- « **أنت والمرآة** » شعر : **علي عارف**
- « **مقدمة في الشعر الملحون** » (تابع) بقلم : **عبد المجيد بنجدو**
- « **أطوار الأدب العربي بتونس** » بقلم : **محمد الهادي العامري**
- « **بين العبث الوجودي والفعل الاشتراكي** » بقلم : **مصطفى الفارسي**
- « **فصل في جهنم** » (تابع) **شعر** : (Arthur Rimbaud)

تعريب : **محسن بنحميدة**

في ظـلال القيروان

شعر : جعفر ماجد

احتفل في القيروان ــ اثر عودة الشاعر من فرنسا ــ بنجاحه في (التبريز) ، والقيت في هذا الحفل خطب واشعار اجاب عنها بهذه القصيدة :

غَرَام يَشُدّ جُنُونِي إلَيْكُـمْ   كأهْدَابِ شَمْسٍ إلى اللهِ تنْظُرْ
وَشيْءٍ أحِسّ بِهِ فِي كِيَانِي   يُهَدْهِد عَيْنَيّ مِثْلَ المُخدّرْ
وَيَمْلؤنِي مِنْ سُرورِ الصّبَايَا   فَيَخْضَلّ قَلْبِي بِدمْعِ التّأثرْ
وَأسْتَكْشِفُ الحُسْنَ في كلّ وَجه   وَأجْلُو جَمَالا بِهَا لا يُقَدّر
جَمَالَ النفُوسِ إذَا مَا أحَبّتْ   وَطَابَقَ فيها اليَقِين التّصَوّرْ

* * *

أرَانِي عَلى كُلّ وَجْهٍ كَأنّـي   بِفِيهِ أغَنّي وَعَيْنَيْهِ أبْصِرْ
أرَى عُقْبَةً شَامِخَ الانفِ مثْلِي   وَمثلكَ ألْقاه في اللّوْنِ أسْمَرْ
وَسحْنُونَ وَالفِقْهُ يُتْلَى عليْهِ   وَسَيْفَ المُعِزّ العَزِيزِ المُظفّرْ
أرَى فِيكَ ثَوْبِي القَصِيرَ المُوَشّى   وَذَاكَ الحِذَاءَ الصغير المُغَبّرْ
وَعَهْدا بِبِرَادٍ لنا مِنْه طَبْـع   يَرِقّ فيصْفو وَيُرْغِي فَيَهْدِرْ
وَتِلْكَ الكتاتِيبَ وَاللّوْح فيهـا   وَحَرْفا غَلِيظا عَلَيْهِ يحبّرْ
أرَانِي عَلَى كُلّ وَجْه كأنّي   بِفِيه أغَنّي وعَيْنَيْهِ أبْصِرْ

* * *

أرَى قِصّةً جَدّدَتْ عَهْدَ قيْسٍ   وَلَيْلَى مِنَ البابِ كَالنّجْم تنْظُرْ
عُيُون هُنَا خَاطبَتْنِي بِصَمْتٍ   فَضَيّعْتُ فِيها شبابِي المُنَوّرْ
عَلَى كُلّ دَرْبٍ لنَا ذِكْرَيَات   وَإنْ كَانَ منّا قَلِيل التّذَكّرْ

... أيَازَهْرَةَ العُمْرِ هذَا حَصَاد   لِعُودٍ غَضِيضٍ بِكفيكِ أزْهَرْ
حَسِبْنَا لَه كُلَّ يَوْمٍ حِسَابَا   فَأوفَى حِسَابِي وَلَمْ يَتَأخَّرْ
وَإنِّي وَإنْ كَدَّرَتْنِي اللَّيَالِي   وَفِيَّ كَأمْسِي وَلَنْ أتَغَيَّرْ

* * *

أنَا مِنْ هُنَا قَدْ رَوَيْت غِرَاسِي   وَهَذَا غِرَاسِي هُنَا اليَوْمَ أثْمَرْ
رَضَعْتُ البَيَانَ الزلالَ المُصَفَّى   وَثَقَّفْت شِعْرِي فَلَمْ يَتَكَسَّرْ
وَمِنْ كُلَّ فحلٍ جَمَعْت المَعَاني   وَفتَّشْت في بحْرِهِ حين يزخرْ
وَخَاطَبْت من كَابَرونَا غُرورا   بِأنَّا على الدَّهْرِ أقوى وَأكبرْ (1)
عَلَى (عُمْدَةِ) الشِّعر كنَّا اعتمدْنَا   وَمَا زَالَ فِينَا العِماد المُؤَزَّرْ
بِتِلكَ المقاهِي اقتنصْت القَوَافِي   بِهذِي الحَوَانِيت ما زِلت أحْضرْ
لنَا مَجلِسٌ حيْث كُنَّا وَإنَّا   لأحْفَاد مَنْ كَانَ حلْو التندُّرْ (2)
عَلى جَنَّةِ القيْرَوَان أئتُمِنَّا   وَفِي (زَهْرِ آدَابِهَا) نحْن نَخْطُرْ
فَيَامَجْدَ رَقَّادَةٍ قَدْ لَبِسْنَا   مَعَانِيكَ مِثْلَ الرِّدَاءِ المُحَبَّرْ
أوَيَا عِزَّةَ القَيْرَوَانِ استفِزِّي   نفوسا علت وَاسْتَعَدَّتْ لأكثرْ
وَيَا فَخْرَ قَوْمِي وَسَلْوَى فُؤادِي   وَهَلْ لِي سِوَاكم إذَا كنْت أفخَرَ
عَقَلْتُمْ لِسانِي فَلَمْ أدْرِ فِيكُمْ   بِمَاذَا أُحَيِّي وَلَا كَيْفَ أشْكُرْ
ألاَ إنَّكُمْ في مَجَالِ التهَانِي   لَأوْلَى بِما قَدْ فَعَلْتُمْ وَأجْدَرْ
أنَا بَذْرَةٌ أيْنَعَتْ في سُهُولٍ   سَقَاهَا مِنَ الامْسِ غَيْثُ التحضرْ
فَفَاءَتْ ظِلاَلا عَلى السَّهْلِ تُرْمَى   وَفَاحَتْ عبيرا عَلَى السَّهل يُنْشرْ
فَطُوبَى لأرْضٍ زَكيّ ثَرَاهَا   وَطُوبَى لأَيْدٍ بها حِينَ تَبْذرْ

جعفر ماجد

---

(1) يعنى مناوئى شعراء القيروان
(2) اشارة الى الحصرى

الادب بين الحقيقة والواقع

بقلم : عبد العزيز قاسم

بما ان القصة اصبحت اوسع انواع الادب رواجا، واشملها لاغراضه واساليبه، واشدها فاعلية ، نركز هـذا البحث على القصة بوجـه خـاص ٠ لقد ادرك « زولا » زعيم المدرسة الطبيعية رغم ما وقع فيه من اخطاء مذهبية ، مدى اهمية القصة ومدى امكانياتها فاعلن عن سلطانها وشيوعها قبيل نهاية القرن الماضى اذ قال : « لم يعد للقصة اطار ، لقد اكتسحت جميع اصناف الادب وجردتها من مكاسبها ٠ انها كالعلم سيدة العالم ، الطبيعة بكاملها ميدان لها ٠٠٠ وفى الحقيقة ان روائع القصص المعاصر اكثر معرفة وتعريفا بالانسان من كتب رصينة فى الفلسفة والتاريخ والنقد ٠ وهذا التصريح لم يكن سـوى نبـوءة صدقت فى القرن العشرين ٠

لقد كثر الشعر وتضخمت عملته فى بلادنا فالشعراء يشكون الاغلبية بين محترفى الادب عندنا ويبدو ان هذه الاغلبية فى صعود مستمـر فهذا بريـد الفكر وبريد الاذاعـة يكادان لا يحمـلان الا المحـاولات الشعـرية ومن حقى التصفيق لهذه الظاهرة بوصفى من انصار الشعر ولكن الغالب على الظـن ان هواة آلادب انما هم اميل الى الشعر لانهم يعدونه اسهـل من سـواه ويحس القارى المطلع من هلهلة قصائدهم انهم يجهلون معاناة الخلق ٠

وأمام هذه الظاهرة المؤسفة التى سوف نعود الى بحثها فى مقال اخر لا يسعنا الا ان نبارك انتباه عدد من كتابنا الى اهمية القصة ودورها العظيم وان نشجع المحاولات التى يقومون بها فى هذا الميدان ٠ ولكن هذا لا يمنعنا من التنبيه الى ان القصة التونسية تكاد فى الوقت الحاضر لا تسلك الا منهجا واحدا هـو ما يسمى بالواقعية ٠ ونحن نخشى ان تؤول سريعا الى ما آلت اليه المدرستان الواقعية والطبيعية فى اوروبا من افلاس ٠ اذ من المعلوم انهما اضاعتا الحقيقة من جراء تمسكهما بالواقع الظاهر تمسكا ينفى قاعدة اساسية لكل عمل فنى هو الاختيار وانتقاء الجدير بالذكر من الاحداث والاشيـاء ٠ والواقـع ليس دائما حقيقة ، فالتفكير والتامل هما الحقيقـة الوحيـدة كما قـال « بريس » Barrès الذى يعد الحديث عن الاعراض الزائلة منقصـة ونـزولا ٠ وفى هذا رد ضمنى على الذين يعيبون الادب الرومنطقى او سواه على خلوه من الشواغل الاجتماعية ومن صور الحياة اليومية حتى انهم قالوا ان هذا الادب لا يخبرنـا حتى عن اسعار الخضر والبقول فى ذلك العصر ٠

ان الاغلبية الساحقة من الفنانين اولائك الذين وقفوا حياتهم على التعبير عن الجمال والحقيقة ينقسمان الى شقين اثنين: احدهما واقعي يريد رسم الاشياء او تقديمها كما هي بدون ان يدع لاهوائه وميوله مجالا لتكييفها فاذا به يكتب شهادة فى اسلوب تقريرى • اما الثانى وهو الخيالى او المثالى ، فانه يرسل اضواء فكره وروحه على الاشياء ويدعونا الى مشاهدتها بعينيه والانطباع بها حسب احاسيسه •

وهكذا فان الاول يكون اشبه بصحفى ينقل حديثا وصفيا يلتقط بعدسته مناظر من الحياة الجارية كما يفعل مخرج شريط « احداث الاسبوع » والثانى اشبه بالمخرج الفنان الذى يختار المشاهد، ينقحها ويعكس فوقها حالته النفسية فاذا بعمله تجسيم لنظرية ما يجب ان يكون عليه الواقع او استكشاف ذاتى لحقائقه العميقة الباطنة •

والملاحظ ان جميع الآداب فى بحثها عن الحقيقة وفى تعبيرها عن مختلف جوانب مأساة الوجود من « الاوديسة » الى « اللاقصة » ، تعلن عن التصاقها بالواقع ومن هنا نشأ اختلاف فى مدلول هذه الكلمة ذات الوجوه •

لقد ظهرت الواقعية كرد فعل ضد المبالغات الرومانطيكية وتغاليها فى فترة رجحت فيها كفة الشؤون الاقتصادية على حساب الشؤون الروحية • ولكن المدرسة الجديدة التى كانت فى الاول تعمل على احداث طريقة جديدة للخلق الفنى لا تنفى الشعر ولا الخيال ، سرعان ما تطرف زعماؤها ودعوا الى ادب يكون نسخة امينة للواقع وشنوا معركة ضد الفن باسم الحق • وتمادى اصحاب هذه النظرية حتى جردوا الواقع من كل روح شعرى ، وافضت بهم الحال الى « الطبيعية » التى تعوض النظرية الفنية بالنظرية العلمية ، حتى ان كاتبا مثل « زولا » طفق يتجول فى « حديقة الحيوانات البشرية » بعدسة تابى ان تنفتح الا على قبح الانسان والعالم • الامر الذى جعل احد الكتاب مع كونه من « الواقعيين » يستنكر هذه الطريقة مقارنا الكاتب « الطبيعى » بنحلة تبحث عن عسل جديد فاعرضت عن الزهور وفضلت ان تدخل المطابخ وان تقع فوق المزابل • والوقوع فوق المزابل هو بالضبط ما نحذر منه القصة التونسية ، فهناك ميل قوى الى قول كل شىء باسم الحق وباسم مقاومة الكبت•

كان الطبيعيون يحببون من يرغب فى اكساء الواقع حلة خيال لاغراض استيتية ، باننا نخلق بذلك عالما بعيدا عن الانسان ، ولكنه يغرى الخيال • وهنا نجد تضاربا ملحوظا ولا نتمالك من ان نتساءل ما اذا كانت الواقعية واقعية حقا • فالوهم والحلم والذهول التى تقصيها باسم الموضوعية وحتى باسم «الانسانية» اليست ملتحمة مع الواقع البشرى ؟ اليست حياة الانسان متركبة من جانب مادى وجانب وهمى ؟ ان الرؤيا « الواقعية » منقوصة بمقدار النصف•

يقول « الان » : « ان الكاتب الخلاق ، ليس مجرد انعكاس للاشياء » ولذلك يناهض « كامو » الادب التقريري مؤكدا : « ان عالم القصة ليس سوى اصلاح لعالمنا هذا حسب رغبة الانسان العميقة » • اذ ان ابطال القصص يصلون الى منتهى حظوظهم ، وينهون ما لا نصل به الى نهاية •

ومن جميع الجهات ، رغم الانتصارات التى حصل عليها « الواقعيون » تعالت أصوات تشهر بتغاليهم وبتجاوزهم الحد ، وما الرمزية الا حركة معاكسة لهم • انهم يؤمنون بان الفن مجرد ليس للانسان به من صلة فى حين ان الفن هو الانسان مضافا للطبيعة ، اذ لا تسمو الطبيعة الى مستوى الفن ما لم تمتزج بذكاء الانسان • ولقد بين « بروست » Proust كيف اننا بالفن وحده نكتشف كنه حياتنا ، ونكتشف الواقع كما احسسنا به وهو مخالف لما كنا نظن • وهكذا فان الادب كما يتصوره الواقعيون هو حسب « بروست » ابعد ما يكون عن الواقع وهو اكثر انواع الادب تفقيرا واحزانا لنا • فالواقع يختلف شكله ولونه وطعمه باختلاف احاسيس الناس وحواسهم • ان مولد الفجر مثلا يبعث الانشراح فى نفسى ولكنه قد يبعث الكآبة فى غيرى ممن يثير فيهم مرأى الفجر هواجس والآما حصلت لهم عند فجر يوم من الايام ان البحث عن الحقيقة فى العالم المرئى الملموس دون سواه ، يجعلنا نتخلى عن الفريسة فى سبيل ظلها • وعوض ان يصف الواقع بكل دقة ، يعمل الكاتب الاصيل على ترجمته •

ان القارىء لا يفتح كتابا لمعرفة ما تعرفه بعد او ما يمكن ان يعرفه بنفسه، بل ليكتشف او ليراقب نفسه ، ليقارن ويثرى حلمه بحلم الفنان • افليس الحلم الشعرى كما قال « ريفردى » Reverdy افتراض حياة ، مثلما يكون افتراض العالم حلما علميا •

الادب الخالد لا يحاكى الحياة ، انه يسبقها ويكيفها طبقا لاغراضه • لقد اثبت التاريخ غير ما مرة ان خيال الادباء كان اساسا للكثير من التطورات الحاصلة فى المجتمعات • يقول « مالرو » Malraux « لقد أخذ العالم ذات يوم يشبه كتبى » •

والسريالية التى تريد نفسها « فوق ـ واقعية » تتحدى اباطيل الحقائق الظاهرة وتعمل على استخلاص الهالة السحرية التى تحف بالواقع عبر متاهات اللاشعور مطلقة العنان الى جامح اوهامها وتخيلاتها • ويمكن لنا حتى ان نؤكد

أن المسرحيات القديمة والاساطير الميثولوجية ، مهمـا كانت مشطة مفرطـة ، تحوى عادة من الحقائق الباطنة ما لا تبلغ اليه اية قصة واقعية • فالادب ، احب الواقعيون ام كرهوا ، يسعى الى تكييفنا حسب نماذجه ، ابطاله الحقيقيون او الوهميون يشكلون بالنسبة لنا مجتمعا خياليا لا يبحث فيه الانسان عن نسخة طبق الاصل من الحياة بقدر ما يبحث عن حل لغز حياته هو • فالقصة كانت ولم تزل مرآة ينعكس عليها وعى جيل من الاجيال • وهى تعنى بروح ذلك الجيل اكثر مما تعنى بهيكله وعندما تتعرض الى الواقع فانها لا تلبث ان تنقحه طبقا لمتطلبات جمالية او مثاليـة • وليس فى هـذا بعد عن الحقيقـة بل فيـه بعث لواقع جديد •

ويبدو اليوم ان المذهب الواقعى الطبيعى قد عوضه لون آخر من الادب يعتمد التجلى الوجودى وبدون ان ننقص من قيمة هذا الادب الملتزم الذى فقد هو الاخر كثيرا من الهيبة التى كان يتمتع بها خلال سنى ما بعد الحرب العالمية الاخيرة ، نلاحظ بارتياح انه يوجد الى جانبه ادب يمد جسرا بين الشعر والواقع •

وما الادب المثالى سوى ذلك الذى يندمج فيه الانسان بكليته ، ويجد فيه صدى لرغائبه العميقة ومنها طموحه الى ان يتجاوز منزلته ، وان يثـأر لنفسه منها ، وان يفر بعيدا عن حضارة موحدة الاسلوب آلية الحركة ، قصد خلق الحياة من جديد طبقا لافتراض شعرى •

والذى ندعو اليه كتابنا القصصيين هو ان يتجنبوا السهولـة ومزالق « الواقعية » المفرطة التى تؤدى الى الابتذال وان يقفزوا بانتاجهـم الى القـرن العشرين دفعة واحدة • فالقصة المعاصرة هى التى نجحت فى ادمـاج العلـوم الانسانية مثل النفس والفلسفة وعلم الاجتمـاع ، وهى التى وصلت بتعددها واختلاف مناهجها ، الى معانقة جميع اشكال الفن وفروع المعرفة •

عبد العـزيـز قاسم

جسم في المرآة

قصة ـ بقلم : محمد المصمولى

مهداة الى امرأة من دخان

أفاقت المرأة لدى مطلع النور ٠٠ أفاقت وفى صدرها خوف ، ومع الخوف بريق « فكرة قارة » ٠٠٠

أما الخوف ٠٠٠

فهو زائرها الذى لن يغيب ،

منذ ثلاثة أعوام ،

لدى مطلع كل فجر ٠٠٠

أما « الفكرة القارة »

فقد سكنت عينيها السوداوين ، سواد البؤبؤ الوضاح ،

منذ البارحة فقط ،

بعد أن ترعرعت فى ضباب صدرها ،

ثلاثة أعوام أيضاً ٠٠٠

* * *

انها امرأة رائعة ٠٠٠

هذه الخائفة من موجة النور ، ذات الفكرة « القارة » !

هدبها المكسر كالحلم الطفل ،

يحجب فى عسر فراغ شبابها الريان ،

ونهدها المتحدى للحدود ، فى شموخ البركان ورقة الياسمين ،

يهمس فى كبرياء ،

مأساة لا تسعها الكلمات ٠٠٠

ومثل موجة طاشت على الشاطىء ٠٠

وثبت المرأة من المضجع الأزرق ، وتلاها شعر حبيب بلا قمر ٠٠

ومثل سيجارة رفيعة تأكل نفسها فى لا شعور ٠٠

انتصبت المرأة بلا ثياب ،

كلسان من اللهب ٠٠

ثم بدأ الحوار بين المرأة وصديقتها المرآة ٠٠

المرآة ـ مسكينة أنت يا صديقة ..
عرفتك ثمرة متفجرة بالربيع ،
وردة مكتنزة بشذى
شبابا زاخرا بالحب ، والحياة والأحلام !

المرأة ـ (حائرة كنقطة استفهام)
و ... والآن ؟ ؟

المرآة ـ عود من الزهر يابس ،
... وأنت ما زلت فى العشرين ..

المرأة ـ (تكتنف وجهها سحابة من ذهول)

المرآة ـ هلا نفضت عنك وعن أهدابك رؤى الموت
وفتحت قلبك للحياة ،
وأعدت لقوامك رشاقة الصباح

المرأة ـ (حائرة ..)
كيف .. كيف ..
ونفسى قد تلاشت مع الصباح .. منذ ثلاثة أعوام ..
ضاعت فى المنعرج .. مع حادث السيارة ..

المرآة ـ هى ضاعت .. فقط
وستجدينها فى الأفق البعيد ،
(وتطرزين) وتطرزين حواشيها من ضحكة الشمس

المرأة ـ (تبدو حالمة العينين .. تتحدث كأنها فى حلم ، وقد نسيت المرآة)
بالأمس ، قبل ثلاثة أعوام ،
قد أحبنى زوجى ..
كنا كعصفورين يزرعان الحب فى المروج ،
يهزجان للكون فتتعانق أغصانه وجداوله ..
كان العمر لدينا تحررا وامتدادا
وكان الزمان طريقنا المفروشة بالورد
وكان بيتنا كوخا من الأحلام فى حضن الأفق .

المرآة ـ لكن ماذا بعد هذا ..

المرأة ـ (قاسية الملامح)
قد زمجر القضاء ..
كان حادث السيارة ،
فالعملية الجراحية ..
وعاد زوجى من المستشفى ..
عاد غريبا عن جسمى ،
وبحثت عن ابتسامتى فما وجدتها ..

بحثت عنها خلف شفاهي .. في كل مكان ..
حاولت اشتراءها بالدراهم ..
حاولت استعارتها من أية امرأة ..
بلا فوز ..
فرحتي قد امتصتها هاوية الفجر ..
فرحتي ضاعت مع الحادث ..
(ضاحكة باكية ... ثم مبتسمة ...)
قلت ان زوجي عاد الى .. هذا صحيح ! لكنه ما عاد الى حضني ، وهذا صحيح أيضا . أقتسمنا المنزل فجأة وأضفنا مضجعا جديدا . وكنت وإياه ، متساويين ، متوازنين . أعني أن الحادث قد سوى بيننا . تسوية خطين في اتجاه واحد .. لكن لا يلتقيان أبدا ، والى يوم الحساب . تصوري ! الحادث يا صديقة قد انتزع جسمه من حوزتي ...

المرآة ــ (في غباوة بيضاء)
ثم ... ثم ...

المرأة ــ آه كان شهما صريحا . كلامه كملامح طفل . وطبعا زدت به ارتباطا الى حد التلاشي .

المرآة ــ (كالمرآة)

المرأة ــ (بعد صمت كحفرة في ذاكرة)
بعد يومين من الحيرة . قال لي فجأة كمن يرزح تحت أثقال ...
اسمعي يا صغيرة ..
من الحمق حقا أن تعيشي بلا جسد .
حبي لك فوق الحدود .. أفهمت ؟ وحاشا الحب أن يكون شبكة من الأنانية . وهذا جسدك في العنفوان .. لا ! . انصرفي ارجوك ، ولا حرج ، يا زوجتي الى الأبد .
ثم اضاف بصوت غريب .. لن أنساه ...
: « ظننت يا حبي الكبير، لدى زواجي بك، أن لا شيء يفصلني عنك . لكن الموت تآمر مع الحياة ، وانتزعاني في دقيقة واحدة عنك ، فلا أنا ميت ولا أنا حي ..

المرآة ــ (تبدو هي الأخرى ذاهلة ، غائبة الذهن)
اليوم سأغادر زوجي والمنزل والمضجع ، وهناك في الأفق حيث ، مهد الشمس ومقبرة الشمس سأحضر السحاب بأصابعي ، وأبحث عن بسمتي الضائعة .

محمد المصمولي

في ثبات الحضارة البونيقية

بقلم : محمد فنطر

في القرن الثالث قبل الميلاد كانت مدينة حنبعل تسيطر على قسط وافر من غربي البحر الابيض المتوسط • وبحكم وجودها بجنوب اسبانيا وسيطرتها على جزر الباليار ومالطة وسردانيا كانت الملاحة لا تجوز بهاته المناطق الا باذن منها كما يجب ألا ننسى وجود قرطاجة بصقلية وقد تقاسمتهـا مع اليونـان بعد أخذ ورد وحروب يعسر الحديث عنها في نطاق هذا البحث ولا يخفى ما كان لصقلية من قيمة عسكرية استراتيجية •

هذا وكانت روما انذاك في أوج قوتهـا وازدهارها فقد تمكنت من غـزو كامل القطر الايطالي كما باتت لها مطامع في احتلال صقلية تلك الجزيرة الغنية بقموحها والعامرة برجالها • وكانت تلك المطامع الرومانية تنمو بقدر ما كانت تشعر به روما من ضيق بشبـه جزيرتها وكان قـرب صقليـة من العـوامل المشجعة • ولكن كيف العمل والقوات البونيقية على علم كامـل من المطامـع الرومانية وبات الأسطـول البـونيقي يطوف حول السواحل يراقب تحركات العدو • أما السلطات الرومـانية فقد أصبحت هي الأخرى تفتش عن أسباب التدخل في شؤون الجزيرة حتى تكون العملية قانونية في عين الرومان وقد اشتهر هؤلاء بشن العدوان القانوني كما عرفهم التاريخ بالظالمين القانونيين •

ثم أبت الظروف الا أن تمنحهم فرصة جميلة للتدخل في شؤون صقليـة وكان ذلك عن طريق المـامرتيين (les Mamertins) • أطردهم البونيقيون من مدينة ماسينا (Messine) لأسباب لم يوضحها المؤرخون كل توضيح وعجز المامرتيون على الوقوف في وجه القوات البونيقية فطلبـوا النجـدة من رومـا والمعروف أنها كانت تترقب ذلك النداء بفارغ صبر ولربما كانت روما نفسها هي التي تحث المامرتيين على القيام بتشويش يجبر السلطات البونيقية على رد الفعل ومعاقبة المشوشين مما ينتج عنه التدخل الروماني حسب خطة شيطانية مرسومة منسقة فذلك هو العدوان والظلم القانوني الروماني •

كان ذلك سنة 263 قبيل المسيح حيث وقفت القوات البـونيقية والقوات الرومانية وجها لوجه وكانت جيوش قرطاجة معززة بالرجال والعتاد غير أن النصر كتب للرومان بعد حرب طويلة دارت رحاها تارة في صقلية نفسهـا وطورا في الديار الافريقية حيث هجم القائد الروماني ريقلوس (Régulus) على شواطىء الوطن القبلي وعاثت جيوشه فسادا في المدن والقرى البـونيقية

حتى كادت تصل قرطاجة نفسها • وانهزام البونيقيين كان يعنى تخلي قرطاجة عن جزيرة صقلية وتركها للسلطات الرومانية ورحلت قرطاجة فعلا عن مراكزها بالجزيرة واصبحت تفكر فى استغلال بلاد الايباريين وعلاقة الفنيقيين بها عريقة اذ كانوا يأتونها سعيا وراء المعادن الثمينة كالفضة والقصدير وذلك منذ الألف الثانية قبل المسيح أما الايباريون فهم سكان اسبانيا القدماء وكانت لمدينة ترشيش الواقعة بجنوب هذه البلاد شهرة• تبنى هذه العملية عبد ملقوط أبو حنبعل الشهير وعمل جهده على انجازها فكانت عملية ناجعة رابحة مما جعل البونيقيين يسترجعون قواهم ومما جعل أموالهم تتضاعف •

لقد نجحوا ولكن هذا النجاح بعث فى أنفسهم حب الانتقام وقد نشأ حنبعل فى جو ملؤه النشاط والحزم فى العمل والحسرة على ما أصاب الجيوش البونيقية أيام حرب صقلية• نشأ حنبعل وكبرت معه فكرة الانتقام وكأنى به فطر عليها وقد أدى يمينا أمام مذبح الاله بعل حمون فحواه أنه سيضمر البغض والعداوة نحو روما ما بقى حيا • وجاء اليوم الذى بايعته الجيوش بالقيادة فحاصر فى جبال الألب وأبلى البلاء الحسن وأنجز الانتصارات الباهرة التى نالت صدى عظيما حتى أصبحت القلوب ترتعد اذا التقطت الآذان اسم حنبعل وكان هذا على وشك دخول معبد الكابتول (Capitole) رمز الرومانية غير أن الاهة النصر أبت الا أن تتخلى عن صفوفه وتعرض عن معسكره وضعفت فانحلت قواته وضنت عليه قرطاجة بالمدد •

وبقى يترقب جواب حكومته ويترقب فرصة الالتحام بالجيوش الرومانية التى ما انفكت تتوارى ثم توجه القائد شبيون الى ارض افريقيا وجعل منها ميدانا لهاته الحرب البونيقية الثانية فالتحق به حنبعل وقد التحم الفريقان قرب مدينة زاما (Zama) سنة 203 فانهزمت الجيوش البونيقية وأصبحت مدينة عليسة مهددة بخطر حلول شبيون بها وأصبح البونيقيون يتساءلون عن نوايا القائد الرومانى هل هو سيتمادى فى غزو البلاد الافريقية أم يكتفى بهذا النصر العظيم ويقفل راجعاً الى بلاده بعد أن يفرض على قرطاجة معاهدات تمس من قوتها وكرامتها مرة ثانية ؟

أما روما فكانت تتردد • لا تريد اقتحام مغامرة تتطلب وقتا طويلا وتكون عبئا ثقيلا لا يتحمله المواطنون وخاصة منهم بعض أعضاء مجلس الشيوخ لقد بين روبار كانيا (Robert Cagnat) بصفة واضحة جلية وجود شقين ازاء المشكلة الافريقية فكان بعض الأعضاء يعارضون فكرة غزو افريقيا ومنهم من كان يحبذ تلك الفكرة ويناضل من اجل احتلال البربر وبعد أخذ ورد دام سنين تغلب الشق « الأمبريالى » فكانت الحرب البونيقية الثالثة ولا شك أن الرومان قد وجدوا لها أسبابا قانونية كالمعتاد وانهزمت جيوش عزر بعل وحكم على مدينة عليسة بالنهب والحرق والتخريب فكان ذلك فى منتصف القرن الثانى قبل المسيح وحلت روما محل قرطاجة بالديار الافريقية ، فهل كان نصيب الحضارة

البونيقية الفناء بعد أن هدمت الأسوار البونيقية وأصبحت أثـرا بعد عين ؟ ولعل هذا قد يفسح المجال للحضارة الرومـانية أن تحـل محـل الحضـارة البونيقية • فالنظر فى تاريخ البلاد الافريقية بعد سقوط المـدينة قد يمدنـا بالجواب عن هذا السؤال •

عند سقوط قرطاجة اضطر البونيقيون الى الهجـرة فمنهم مـن التحق بالمدن البونيقية التى لم تمس بسوء من طرف القوات الرومانية لانهـا أعلنت قبل نهاية الحرب خروجها عن صف قرطاجة وأبرمت صلحا مع العـدو الجبـار ومن المدن هذه سوسة واسمها العتيق حضرموت ومن المهـاجرين من اندمـج فى المـدن البربرية ليشاطروا البرابرة حياتهم وقيل انهم قد وجدوا قبـولا حسنـا من طرف ملوك البربر وقد كانوا متشبعين بالحضارة البونيقية وكانوا يتكلمون لغة حنبعل وشيدوا القصور حسب القواعد البونيقية ولئن بادت تلك القصور فلنا بعض وثائق تشهد بتأثير البونيقيين فى الفن المعمارى البربرى ولا شك أن الذين فروا من قرطاجة خوفا من الهلاك قد مدوا يد المساعدة الى أخـوانهم البرابرة وعملوا على بث الحضارة واخراج القبائل البربرية من الظلمات الى النور• كانت المدن البربرية اذن ملجأ الحضارة البونيقية مما جعلها تثبت وتدوم أمام حضارة الجيوش المنتصرة •

حطمت معابد قرطاج وشرد البونيقيون غيـر ان الديانـة الكنعانية لم تمت اذ نجد المعابد البونيقية فى غالب المدن البربرية الافريقية زيـادة على المـدن البونيقية التى لم تدسها الجيوش الرومانية ولم تعث فيها فسادا فمـن المؤرخين من يعتبر أن تلك المدن قد ارتكبت خيـانة ازاء حضارتها ومهما يكن من أمـر فالجدير بالذكر هو أن تلك المدن قد لعبت دورا عظيمـا فى ثبـات الحضارة البونيقية فى الديار الافـريقية • حافظت على استقلالهـا الداخلى ولم تتدخل السلطات الرومانية فى دواليبها الادارية والاقتصـادية والـدينية • وبقيت بحضرموت معابد تانيت وبعل حمون وما انفـك سكانهـا يتقربـون لآلهتهم بواسطة الضحايا البشرية • بقيت النفوس متعلقة بآلهة قرطاجة ولم تستطع روما تحجير ما كانت تعتقده خطرا على الانسان أعنى القربان البشرى•لقد عثر الاستاذ فيفرى (Février) على نقيشتين ترجع الى العهد الرومانى جاء فيهما أن طفلا ولد أصم أبكم فنذره والده لتانيت وبعل حمون على أن يمنـا عليهما بطفل سليم وولد الطفل السليم فألقى الطفل العليل فى النار كما كان يفعل البونيقيون فى توفات سلامبو • فذلك من الادلة القاطعة على ثبـات الديانـة البونيقية ورسوخها فى قلوب سكان هذه البلاد •

ولكن لماذا نقتصر على هذا المثال والامثلة كثيرة فى الحقل الدينى : نعم قد فرضت روما ديانتها على المدن الافريقية كلما عن لها ان تلعب دورا سياسيـا

فى نطاق المجموعة الرومانية وكلما أراد سكانها اتخاذ الجنسية الرومانية فينبغي على المدينة أن تشيد معبدا لآلهة الكبتول (la Triade Capitoline) وهم جوبتار (Jupiter) وجينون (Junon) ومينارف (Minerve) كما يجب على مواطنيها ان يتعبدوا للامبراطور اذ يؤله هذا بعد وفاته ومن المرغوب أن تشيد معابد لبقية الآلهة الرومانية كماركور (Mercure) ومارس (Mars) وغيرهما الشيء الذى نلاحظه بالمدن الافريقية الرومانية التى كشف عنها الغطاء بأرض بلادنا مثل دقه وبولاريجيا (Bulla Rigia) وسبيطلة وغيرها. تلك هى الديانة الرسمية القانونية ولايمكن حسب الرومان ان يتحضر شعب ويصبح جديرا بالجنسية الرومانية الا اذا اعتنقها وكادت تلك الديانة الرسمية أن تخلو من كل صبغة عاطفية روحانية . لقد كانت ديانة باردة ليس فيها ما يجذب القلوب تتلخص فى بعض جمل يفوه بها المتعبد وحركات يقوم بها.

أما عيون الافارقة فما انفكت تنظر الى الآلهة البونيقية ولو تظاهرت بالتعبد لجبيتار وما انفكت قلوبهم تخفق وتدق طاعة وحبا لتانيت وقد اختفت هذه تحت اسم سليستيس (Caelestis) وصار بعل حمون يدعى ساتورن (Saturne) فالاسم روماني والمعبود بونيقي . هذا وقد احتفظت بعض الآلهة البونيقية بأسمائها الاصلية ومثل ذلك هاتور مسكار وهو اله معروف بمدينة مكثر حيث كان له معبد كبير . وقد وجدنا بالمدينة نفسها نقيشة كتبت بالحروف البونيقية الجديدة (Néopunique) تنص عن ترميم معبد هاتورمسكار وتذكر أسماء المواطنين الذين شاركوا فى تمويل ذلك الترميم . وقائمة تلك الاسماء تمكننا من معرفة التطور الاجتماعى بمدينة مكثر فى أواخر القرن الاول بعد المسيح فقد يكون اسم المشارك فى عملية الترميم اسما رومانيا « ماركوس » (Marcus) أما اسم والده يكون غالبا بونيقيا كعبد اشمون مثلا وهذا من الادلة التى تشهد أن الافارقة وان اتخذوا بعض ظواهر الحضارة الرومانية كالاسم مثلا تراهم مع ذلك متعلقين بديانة قرطاجة أو بالاحرى بحضارتها .

بقيت آلهة قرطاجة متمكنة بقلوب الافارقة بعد تحطيمها ولم ترحل عن أرضهم والمعابد التى شيدت لها لم تشيد غالبا على النمط الرومانى بل كانت على شكل المعابد السامية البونيقية . فلنأخذ مثلا معبد الآله ساتورن وهو فى الحقيقة بعل حمون كما قلنا سابقا . فمن يزور مدينة دقه الشهيرة يشاهد عند مغادرته تبرسق بعض الاساطين الرومانية الشامخة ذلك ما بقى من معبد ساتورن وشكله كما يلى : سقيفة تفتح على فناء أحاط به رواق . فتدخل السقيفة وتعبر الفناء حتى تصل الى ثلاث غرف .

لم تكن المعابد الرومانية تشيد على هذا النمط بل نلمس فى تخطيط معبد ساتورن الدقى تأثير الهندسة البونيقية ووجد فعلا تحت الفناء المذكور بقايا معبد عتيق كانوا يتعبدون فيه لبعل حمون ذلك الآله العظيم الذى كان يمن حسب

اعتقاد البونيقيين على البشرية بالصابة كما كان يحمى الموتى من شر الشياطين. ووجود مقدس بعل تحت مقدس ساتورن يشهد أن الآه الرومان قد تقمص شخصية بعل البونيقى ويقول الاثرى كلود بوانسو (Claude Poinssot) فى كتابه (Les Ruines de Dougga)» قمص الرومان الاله ساتورن شخصية الاله البونيقى بعل واحتفظ ساتورن بميزات بعل حمون فكان الناس (اى الافارقة) يعبدونه كما يعبده البونيقيون قبل انقراض سلطانهم » يبدو اذن جليا أن الديانة البونيقية بقيت حية فى دقة أيام عزة الرومان فيها ·

ويبدو أن كهنة بعض المعابد الافريقية كانوا يستعملون اللغة البونيقية فى تعبداتهم ومهما يكن من أمر فلنا من الوثائق ما يبرهن على ثبات لغة قرطاجة رغم مضايقة لغة المستعمر الرومانى · كان من العسير على المواطنين الأفارقة أن يرفعوا من مستواهم الاقتصادى والاجتماعى الا اذا أحسنوا لغة الأسياد وكانت فى ذلك العهد اللاتينية ومع كل ذلك لم تنقرض اللغة البونيقية وعدد وثائقنا فى هذا الميدان كبير · فلنذكر أولا ما لا سبيل للشك فيه أعنى النقائش التى رسمت باللغة البونيقية وان كتبت بحروف تختلف فى شكلها عن التى عهدناها فى أيام قرطاجة ويجدر بنا أن نذكر أن هاته الحروف المعروفة بالحروف البونيقية الجديدة· لم تخلق بعد تحطيم قرطاجة بل نجدها أيضا فى بعض النقائش التى أخرجت من أرض التوفات غير أن هاته الكتابة الجديدة قد عم استعمالها بعد الحرب البونيقية الثالثة ومن النقائش ما نجدها كتبت بحروف مختلفة بعضها بونيقى كلاسيكى ان صح هذا التعبير وبعضها محدث ومثل ذلك نقيشة وجدت قرب مدينة طبربورقيبة تنص على معبد شيد لبعل حمون ولتانيت ويمكنك مشاهدة تلك النقيشة بمتحف باردو وهى معروضة بقاعة تينسوت (Thinissut) ·

وجدنا نقائش كتبت بالحروف البونيقية الجديدة بكثير من المدن الأثرية التونسية منها مدينة مكثر ونقائشها تكاد لا تحصى غالبها يرجع الى القرن الأول والثانى بعد الميلاد · قد سبق أن ذكرنا منها النقيشة التى تنص على ترميم معبد هاتور مسكار والتى ستعرض للعموم فى مقال شاركت الأستاذ فيفرى فى تحريره سوف يصدر فى مجلة « كرتاغو » (Karthago) ومن المدن الأثرية التى شهرت بنقائشها البونيقية نذكر مدينة أوزفة (Uzappa) وتوجد هذه بولاية الكاف بالقرب من مكثر كما لا ننسى مدينة لمسة وغيرها كلها نقائش تشهد بثبات اللغة البونيقية فى أيام الدولة الرومانية ·

ولا يمكننا الحديث عن هذا النوع من النقائش دون أن نتحدث عن نقائش أخرى تشهد أيضا بثبات لغة حنبعل · كتبت هذه بحروف لاتينية أما اللغة فكانت بونيقية وقد أبرز الأثريون الايطاليون نقائش كثيرة من هذا النوع بمدينة لبدة الكبرى (Leptis Magna) وقام بدراسة هذه النقائش الثمينة

الأستاذ العـلامة لفيدلافيده (Levy Della Vida) وهو من اكبر علماء اللغات السامية فى يومنا هذا • يمكن الاطلاع على مقالاته فى مجلات ايطالية وأجنبية أذكر منها مجلة (Oriens Antiquus) التى تصـدر بمدينة رومـا • وقد وجد الأستاذ دىفيطا (Divita) نقيشة فى اقليم طرابلس الغرب حروفها لاتينيـة ولغتها بونيقية ويبدو أنها تتحدث عن جندى ليبى انخرط فى الجيش الرومانى أيام الامبراطور كلود الثانى أى فى القرن الثالث بعد المسيح لقـد سبـق أن قلت ان هذا النوع من النقائش ثمين لا لأنه يشهد بثبـات اللغـة البونيقية فحسب بل لأنه يمكننا من معرفة النطق البونيقى فى ذلك العهـد • ولا يخفى أن اللغة البونيقية كغالب اللغات السامية ترسم الحروف دون الحركات فحاسة السمع هى التى تمكننا من معرفة النطق لذلك يعسر النطق باللغـات الميتـة فنحن نفهمها دون أن نستطيع النطق بها نطقا صحيحا لا تشوبه شائبة • أما الذين استعملوا الحروف اللاتينية لكتابة اللغة البونيقية فقد كتبـوا ما كانوا يسمعون فهى اذن تمكننا أو تسهل علينا معرفة نطق تلك اللغة •

لنا اذن مجموعة من الوثائق الأثرية التى تبرهن بصفة لا يتطرقهـا الشك على ثبات اللغة البونيقية حتى القرن الثـالث بعد المسيـح • فهـل انقرضت بعد ذلك الزمن ؟ نعم ليس لنا نقائش تثبت وجودها بعد القرن الثالث ولكن المصادر الأدبية تثبت استعمال لغة عليسة فى القرن الخامس والسادس بعد المسيح فقد تحـدث القديس أغسطينوس (Saint Augustin) فى كثير من المناسبات عن اللغة البونيقية ذاكرا أن الأفارقة يتخاطبون بها والمعروف أن هذا القديس البربرى قد عاش فى المنتصف الأول من القرن الخامس وها نحن نعيد لكم ما قاله الأسقف فى بعض تلك المناسبـات كتب رسـالة وبعث بهـا الى الأسقف كريسبين (Crispin) وكان هذا يدعو الى المذهب الدوناتى وقد سمى المذهب نسبة الى مؤسسه دونانوس (Donatus) خرج عن العقيدة الأرتودكسية وتمرد على الكنيسة ووضع مذهبا أعطاه صبغة اجتماعية اقتصادية حتى استهوى الطبقات الشعبية البائسة وكان مذهب دوناتوس قد يمكنهم من الثـورة على المحظوظين وكثيرا ما ارتكب الدوناتيون ما لا يرضـاه دونـاتوس كالتخريب والنهب واستعمال العنف ازاء من لم يعتنق مذهبهم وبقى متعلقا بالكنيسة • كان اذا الأسقف كريسبين يدعو الى مذهب دوناتوس وادعى يوما أنه استطاع اقناع سكـان مابـاليـا (Mappalia) بالمـذهب الدونـانى فأجـابه القـديس أغسطينوس وقد كان من أعداء ذلك المذهب قائلا: « انك تدعى أن سكان مدينة ماباليا قد اتبعوك عن طيب قلب فهيا بنا نحدثهم معا وكلانا يلقى عليهم أسئلة نحررها تحريرا ويترجمها لهم مترجم بونيقى

«a nobis subscripta eis punice interpretentur» Epistola LXVI, 2 in Saint Augustin, Ours complètes par Peronne, Vincent, Escalle. Paris 1870.

وجاء فى حديث آخر للقديس نفسه يقول فيه: انزميله فاليريوس (Valerius)

سمع يوما بعض الريفيين يتجاذبون اطراف الحديث فنطق احدهم بكلمة « سلوس » فاهتم بها الاسقف فاليريوس وأراد معرفة معناها فقيل له انها تعنى «ثلاثة» • والمعروف أن «سلوس» كلمة بونيقية فذلك دليل على ان فاليريوس كان يستمع الى أناس يتخاطبون بالبونيقية • وفى رسالة اخرى بعث بها القديس أغسطينوس الى البابا سليستن (le Pape Celestin) يوصيه فيها بتسمية أنطونيوس (Antonius) أسقفا على مدينة فسالة لان أنطونيوس يحسن اللغة البونيقية مما يمكنه من مخاطبة الناس مباشرة • هكذا ينبؤنا الاسقف البربرى عفوا بأن الافارقة وخاصة منهم من كانوا يقطنون بالقرب من عنابة يتخاطبون بلغة حنبعل • لقد أراد بعض المؤرخين أن يشك فى قول الاسقف ويدعون أنه اذا قال بونيقى فهو يعنى بذلك بربرى لأن لفظة بونيقى أصبحت فى ذلك العهد تساوى لفظة بربرى افريقى فلا يمكن اذا لرسائل سانت أوغستان أن تكون وثيقة تشهد بثبات اللغة البونيقية وقد انقرضت هذه منذ القرن الثانى • ومن بين الذين شكوا فى بقاء لغة قرطاجة كريستيان كورتوا (Christian Courtois) وقد كتب مقالا فى ذلك بعنوان «Saint Augustin et le Problème de la survivance de punique »
طالع « Revue Africaine tome XCII, 1950 P. 259 - 282. »

وقد أجابه الاستاذ شارل سوماني (Charles Saumagne) وأظهر بالحجج القاطعة صحة ما ورد عن القديس أغسطينوس فالاسقف البربرى قد شعر بالقرابة التى تصل بين لغة قرطاجة والعبرية وذلك يدل دلالة قطعية على أن الاسقف كان يحسن استعمال لفظة « بونيقى » ولا تعنى فى حديثه بربرى أو افريقى كما بين كريستيان كورتوا وقد صدر مقال الاستاذ شارل سومانى تحت عنوان « La Survivance du Punique en Afrique aux Ve et VIe siècles après J. C. ».

طالع Karthago, IV 1953 P. 169 - 178

هذا ويجدر بنا أن نظيف لهذا الملف ما جاء عن المؤرخ البيزنطى بروكوب (Procope) الذى قام بتصنيف كتاب فى حرب الوندال (Bellum Vandalum) ومن بين ما جاء فيه من اقوال واخبار وقصص واساطير ما ينبىء لهم المسألة التى نحن بصدد دراستها أى بثبات اللغة البونيقية قال بروكوب ان الافارقة يتحدثون تلك اللغة وينبغى الا ننسى أن هذا المؤرخ قد عاش فى القرن السادس بعد المسيح يقول بلغته « Punica lingua etiam nunc utuntur incolae ».

بقيت اذا لغة البونيقيين حية قرونا بعد تحطيم مدينتهم ولنا من الوثائق ما يشهد على وجودهافىالقرن السادس بعد المسيح وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نفكر فى مسألة أخرى قد يكون لها اتصال مع ثبات الحضارة البونيقية وهى

مسألة هي دخول العرب الى أرض الافارقة وهنا يطيب لي أن أذكر ما كتبه أستاذنا حسن حسني عبد الوهاب في خلاصته لتاريخ تونس « في خلال سنة 27 من الهجرة الموافقة لعام 647 من الميلاد أمر الخليفة عثمان عامله على مصر وأخاه من الرضاع (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) بالمسير الى افريقية فقصدها في عشرين ألفا من الصحابة والتابعين وبعد أن قطع هذا الجيش مفاوز برقة وطرابلس دخل القطر التونسي وأناخ على (سبيطلة) حيث يقيم أحد عمال الروم وهو المسمى (جرجير) الذي كان خلع طاعة حكومة قرطاجنة البزنطية وادعى الاستقلال فلما نزل الجيش العربي على عاصمته تأهب جرجير للحرب وخرج في مائة ألف مقاتل من الروم والبربر والتحم القتال فنصر الله المسلمين وقتل جرجير بضربة من يد (عبد الله بن الزبير) وانهزمت عساكره العديدة فدخل العرب سبيطلة ومنها بثوا السرايا في الناحية الجنوبية الى جهة الجريد وقد أسرع الروم والبربر الى طلب الصلح فأمنهم الامير عبد الله بن أبي سرح وصالحهم على مقدار من المال ٠٠٠ »

أناخت الجيوش العربية اذا على أرض الافارقة قبل انتهاء النصف الاول من القرن السابع ثم تم الفتح في سنين قلائل وسرعان ما اعتنق الافارقة دين محمد وتعربوا ولئن وجد العرب بعض الصعوبات في تدعيم نفوذهم السياسي فلم يبالغ المؤرخون في قولهم ان لغة العرب ودينهم قد وجدا قلوبا متفتحة فما هو السر في ذلك ؟ وجه بعض العلماء اهتمامهم نحو هذا المشكل منذ القرن التاسع عشر وبان من خلال بحثهم أن الاسلام والعروبة وجدا الافارقة متشبعين بالحضارة البونيقية فكانت لهما أحسن الاسس ذلك لان كلا من الحضارة البونيقية والحضارة العربية ينتمي الى التراث الشرقي السامي فمن كان يحسن الكلام باللغة البونيقية لا يعسر عليه تعلم لغة العرب اذ تتحد اللغتان في كثير من عناصرهما ٠ فلنأخذ مثلا كلمة « سلوس » الذي سمعها الاسقف فاليريوس (Valerius) وهي تعني كما قلنا « ثلاثة » ولا يخفاك أن الكلمتين ترجعان الى عنصر واحد والمعلوم أن الشين أو السين الفنيقية تساوي كلتاهما ثاء في لسان العرب ٠ فمن العوامل التي جعلت لغة العبادلة تنتشر بسرعة لدى سكان افريقيا ينبغي حسب بعضهم اعتبار ثبات اللغة البونيقية وقد تعرض المؤرخ ستيفان قزال (Stephane Gsell) لهذا الامر في الجزء الرابع من كتابه المسمى

« Histoire ancienne de l'Afrique du Nord »

قال : « نستطيع اذن أن نفترض أن كثيرا من البربر قد اتخذوا لغة الاسلام لانهم تعلموها بدون صعوبة وذلك لانهم كانوا يحسنون لغة البونيقيين٠ فقد هيأتهم قرطاجة من بعيد لقبول القرآن ٠٠٠ »

أما الاستاذ جيلبار بيكار (Gilbert Picard) فهو يقول في كتابه (Le monde de Carthage P. 84 - 85) : « قد افترض سابقا غوتي

(Gautier) أن ثبات اللغة البونيقية سهلت مهمة العرب في غزو البلاد اذ وجدا الافارقة في الحضارة السامية المحمدية تجاوبا مع تقاليدهم غير أن هاته النظرية الجذابة ليس لها ما يدعمها فلا يوجد في لغات شمال افريقيا أى تأثير من طرف اللغة الفينيقية » ففي الحقيقة لم يهتم علماء اللغة بهاته المشكلة وهي تستوجب بحوثا طويلة متشعبة وحتى اذا أردنا فحص اللهجات التونسية يكون من العسير علينا أن نعثر على الكلمات أو العناصر التي قد ترجع الى لغة الفنيقيين ذلك أن اللغتين ساميتان تتحدان في كثير من عناصرهما فمن اليسير على الذين كانوا يتكلمون الفنيقية أن يتعلموا ويحفظوا الكلمات التي تعبر عن الأب والأم والأخ الى غير ذلك • ولماذا يكون حفظ تلك الالفاظ عليهم يسير؟ لانها هي نفسها التي كانوا يجدونها في لغتهم هذا ويجدر بنا أن ندرك عدم امكانية لمس التأثير الحقيقي الذي قد عملته اللغة الفنيقية في انتشار لغة العرب في بلادنا • فالتأثير واقع تاريخي الا اننا نجد صعوبة في ابراز ذلك التأثير وتقديره حق قدره • واذا أردنا أن نعبر تعبيرا آخر استطعنا ان نقول : كانت الجراثيم موجودة قبل أن يكتشفها باستور (Pasteur) أعني بذلك أنه لا يمكننا أن ننكر وجود ما لا نستطيع رؤياه •

ومهما يكن من أمر فهي مسألة يجدر بعلماء اللغة أن يوجهوا اهتمامهم اليها ولا تخفى علينا الصعوبات التي قد تعترضهم في طريقهم • يبدو أن اللغة العامية قد احتفظت ببعض الكلمات البونيقية • فلنأخذ مثلا فعل سلك • انه معروف في اللغة العربية وان فتحنا المنجد وجدنا سلك سلكا وسلوكا (المكان) يعني دخل فيه (الطريق) سار فيه متبعا اياه — وسلكه المكان (فيه وعليه) أي أدخله فيه والمسلك هو الطريق ذلك هو اذا مدلول عنصر سلك • أما في اللغة العامية نجد هذا التعبير : « سلكني من فلان » أي خلصني منه — فكيف تطور عنصر سلك حتى صار يعني خلص ؟ فهل تطور معنى هذه الكلمة خاص بلغتنا العامية ؟ ان مادة سلك موجودة في البونيقية فمن الناس بقرطاجة من كان يحمل اسم«بعلسلك»ويعني ذلك الاسم « بعلخلص » أي خلص المرأة الحامل من حملها • نرى اذا أن عنصر سلك يحتوي على معنى الخلاص أو التحرير في لسان البونيقيين وورثت لغتنا العامية هذا المعنى البونيقي •

أعتقد أن البحث والتنقيب في هذا الموضوع قد يمكننا من العثور على كثير من الكلمات التي قد ترجع الى لغة البونيقيين ولو اتفقت والعناصر العربية في تركيبها الحرفي • ومهما يكن فالمشكلة عويصة لا يمكن البت فيها الآن بصفة قطعية غير أنه ينبغي أن نتذكر أننا قد ورثنا كثيرا عن الحضارة البونيقية نذكر من ذلك الخمسة ونستعملها كتميمة ضد عين السوء وتكون من فضة أو من نحاس تراها عند النساء وعلى رؤوس الاطفال تبعد عنهم قوات الشر ولئن وصلتنا عقائد البونيقيين فلم لم تصلنا بعض مفردات لغتهم ؟

محمد فنطر

القبلــــة الثـــــالثـــــة

قصة قصيرة : بقلم : جلول عزونة

ـ « ايه ٠٠٠ ايه ، صباح جميل يا صاح ٠٠٠ لقد غمر ضوء الشمس كل العالم ٠٠ الهضاب والبطاح ٠٠ ونحن الى الآن نيام ٠٠٠ »

ـ « ادخلي يا هذه ؛ فالصباح لم يبدا بعد ؛ والنهار طويل ؛ وما زالت لاحلامنا بقية »

سمعت انثى الحرذون صوت زوجها ينطلق من داخل مغارتهما وفيه من الخشونة ما يحببه دائما الى قلبها من جديد وفيه من الشدة ما يغويها وما يجعلها تنساق اليه بالرغم منها ؛ تثاءبت طويلا وحركت يديها بتثاقل وحاولت فتح عينيها فما استطاعت الا قليلا ؛ وهذا ضوء الشمس ذو الاشعة الافقية ينطلق بسهام نافذة الى الاعين ؛ وقفت لحظات تتمتع بالنور والصباح والدفء ولم تلبث أن شربت جرعات من الماء المنساب امامها ثم دخلت الجحر في خطى ساحرة تنبىء عن نشوة في جسمها واحلام في رأسها ؛

ومضى الوقت ٠٠ وتقدم النهار ولم يبارح حرذوننا وصاحبته خدريهما ٠٠٠ بدات حرارة هذا النهار من أوت تنتشر على الكون وبدأ الذباب رقصه المحموم فوق سواقي الماء الدقيقة التي تنساب فوق هذه الهضبة آتية من العين العلوية٠

وأخذت الضفادع أماكنها في أسفل الهضبة عند مجرى الماء تنتظر رزقها من ذباب وحشرات ٠٠٠ وانتصبت الحراذين الاخرى امام مغاراتها ، وبدأت بعضهن تهمس لازواجهن في سخرية ظاهرة :

ـ « لم يخرج العروسان بعد ! آه ٠٠٠ كسل الزواج ! كان الليل وطوله ما كفياهما ! ولا تلبث العروس أن تخرج من جديد ؛ وكان تغامز جاراتها قد وصلها فحثها على النهوض ، وتحيى كل من وقع عليه نظرها ؛ واذا ببعض الاناث تسرع اليها واذا بهن يعجبن بثوبها الاخضر الناصع ٠٠٠ وتنطلق السنتهن في مدحه والتفنن في وصفه ووصف أثره على العين ؛ تصدق بعضهن وتتكلم بعضهن من باب المجاملة والتملق ٠٠٠

ـ هو ثوب عروس بحق ؛ بلألائه ٠٠٠ ونصاعته ٠

ـ ان لونه يدل على اخضرار أيامكما المقبلة لا محالة

ـ انك تستطيعين بفضله الاختفاء والتستر والصيد بسهولة ... »

وتشعبت الاحاديث ؛ ووصفت لهن سعادتها وحلاوة ليلتها الماضية .

ـ « أهلا » بكن يا زائرات ..

والتفتن واذا بالزوج يخرج بخطى وئيدة هادئة ؛ يحاول أن يتبين طريقه فتأبى عيناه المتنفختان الانفتاح بسهولة .

ويرددن التحية باحسن منها ؛ ويتفرقن رويدا رويدا ويتركن الزوجين في خلوة ...

ـ « هب »... « لقد بدأت يومى بخير ان شاء الله...ها انذا بفضل لونى الاخضر الذى لا يكاد يختلف عن لون هذه الحشائش التى تحيط ببيتنا قد استطعت أن أمسك هذه الحشرة المتطفلة . لقد ناديتنى لأول هذا الصباح الى التبكير فى طلب الرزق ؛ وليس هذا هو المهم ؛ المهم حقا هو أن نعرف كيف نغتنم الفرص؛وأنا كما تعرفيننى مشهور باغتنامى الفرص وحسن التصرف.»

ـ حقا...انك لمن البارعين فى هذا الميدان ، وكيف أنسى انك من السباقين فيه ؛ فقد بذذت أترابك وجيلك كله ، واسرعت عند الاوان تخطب ودى

ـ نعم ، نعم ... أخطب ودك ، وأ خطب سحرك وخلوده ... قل لى يا ذات الجمال ، أو لا تشتهين شيئا ! انظرى.أما تعجبك هذه الحشرة التى أمسكتها.. ما قولك فيها ؟ انها شهية ؛ خذيها حلالا ... هدية منى ... ريثما أبل ريقى وأغسل أطرافى كى أنشط قليلا .

وتقدمت الانثى منه فى دلال بنات الحرازين وقدمت فما كله اغراء تريد أخذ الحشرة . وزقها اياها مغتصبا فى الان نفسه من شفتيها المزقزقتين قبلة طويلة ؛ وحاولت الانثى التخلص منه .

ـ أما تستحيى ... تأخذ فمى غصبا عنى وأمام الجيران ويوم زفافك .

وكأنه ما سمعها ... تقدم نحو الساقية وانحنى يشرب بملء فمه... ورفع رأسه متباهيا منتفخ الاوداج . ويلمح جاره « قور »

ـ ايه يا هذا .. ما ...

ـ صباح هنيء ان شاء الله ... ومتعك بشبابك .

ـ شبابي ... بخير ؛ كيف حالك أنت وعجوزك ! هل بدات صيدك اليوم ؛ آثار الخيبة تظهر فى عينيك ؛ كأنى بك دائما كما عهدتـك : تنهض والشمس لم تبزغ بعد ؛ وتؤم اماكن كثيرة تطارد الحشرات ؛ ويتقدم النهار ولا تتحصل على شيء.... وهل أنت ممن يحصل الرزق وانت بهذا الجلد الاصفر المجعد.. انك كالشمس زمن الاصيل .. ها ها .. ها ..

ولم يستطع الجار صبرا على هذه السخرية وواصل طريقه وكلمات العريس تلاحقه : « حشرة من الف ، حشرة من أول خطوة يا حبيبى »

ورجع يتبختر الى صاحبته ؛ وقد استلقت فى استرخاء أمام الجحر .

ـ ايه يا هذه..كانك ذقت حلاوة الهدايا واطمأننت . أتنوين حقا ياعزيزتى تقضية يومك فى هذا الوضع تحت أشعة الشمس ؛ حسنا... ستزيدك أشعة الشمس جمالا على جمال . نعم أنا أرضى أن أقوم عوضا عنك بمهمة الصيد ، ومن أجلك أكون على استعداد للمقامرة بحياتى والخروج من مصيدنـا المعتاد الى غيره ... أتدرين : ان رجولتى لا ترهب شيئا فى هذه الحياة الا ذلك الشرير الانسان ، الذى يهدم سلم الكون اينما حل ؛ يدخل كل مامن وكل حريم وتعبث يده بكل شيء ، حقيرا كان ام مقدسا ...

ـ يا حبيبى . ان الشجاع لا يخاف من شيء ولا حتى من الانسان . قلت انه يهدم السلم ... أنا أرى انه يبتدع فى ذلك شيئا ؛ انما ذلك سر الطبيعة . فانت مثلا . الست فى حالة حرب ، حرب الذبـاب والحشرات ؟ الست تهـدم السلم ايضا ؟

ـ لا أنا لا ابحث الا عن طعامى .. ولكنى كنت أحدثك عن البشر وعبثهم بكل شيء .. قولى أرجوك .. لماذا يطاردنا الانسان كلما وجد لذلـك سبيلا ، فهل نصلح له طعاما ... آه ... ولكن فى سبيلك يهون كل..

ـ هب ...

وبحركة خفيفة انقلب على عقبيه وبسرعة مذهلة اعتمد على رجليه الخلفيتين وقبض على بعوضة كانت مارة من هناك .

ـ ان الرزق كثير يا صاحبتى هذا الصباح

ـ أليس هذا يا عزيزى من حظى

ـ بلى ولكنى لن اهديك البعوضة هذه المرة الا مقابل قبلة... نعم ٠ لى فكرة، لن تنالى أى شيء بدون مقابل ، لنتفاهم من الآن ، ستكون نصيبى من كل هدية قبلة من فمك العطر ٠٠ مفهوم ؟

ـ موافقـة !

ـ خذيها اذن وألحقيها بصاحبتها الاولى ... ايه ما احلى شفاهك القبلة الثانية أحلى من الاولى ٠

ـ والحشرة الثانية الذ كذلك من الحشرة الاولى

ـ اتفاق فى الاذواق يا حبيبتى ... سنتحصل على الثالثة ... وكم هى حلاوة الثالثة ! اما تعرفين كلام شيوخنا وحكمهم ؟ اما يقولـون « باللقمـة الثـالثة يبدا الطعـام ... » الطعام الحق ٠ وستبدا سعادتنا هذا اليوم مع الثالثة ٠٠ سيكون الصيد الثالث اليوم دليلا على حظى وأن اراهنـك أن حظى عظيم ٠٠ ولهذا سيكون الصيد كثيرا ٠٠

ـ لا يا عزيزى ٠٠ أما أنا فلا اؤمن مثلك بعـدد ثـلاثة ، انى لاتشـاؤم من شيء كما أتشاءم منه ٠ لقد جربت منذ مدة طويلة ... أن امر طعم هو طعم الثالث من كـل شيء ٠

ـ لا يا هذه لا اوافقك ٠ اتريدين رهانا ٠ سأكل أنا نصف الصيد الثانى وساعطيك نصفه ٠ ونحكم ذوقينا ٠ ٠ ان فزت فى هذا الرهان تكون القبلة الثالثة جزائى وان فزت انت يكون حرمانى من حلاوة القبلة الثالثة

ـ موافقة « على رهانك »

وينشغل عنها قليلا يبحث بعينيه فى الفضاء الواسع عن الصيـد المنتظر واسرع نحو اتجاه معين بخطى ذئب داهية ؛ ولكنه رجع بعد لحظة يتحسر... لقد رأى ذبابة تقع فوق تلك الحجرة ولكنها شعرت بخطاه فطارت ٠

ـ لا تقلقى ولا تفزعى ولا تتذمرى ... الرهان سأكسبه ما فى ذلك شك ٠٠ ولا داعى للتشاؤم من العدد الثالث ؛ انـك بايمانك هذا تنغصين هذه الحياة والفرحة التى يجب ان تتحلى بها؛فاننا حسب ايمانك يجب أن لا نفعل أى شيء

ثلاث مرات أبدا · ولكن ··· آه ··· تذكرت · أنسيت بعد حلاوة اتصالنا الثالث الليلة الثالثة ·· قبيل ظهور الفجر ·· آه ·· وكأنك نسيت أيضا ·· آه ·· أخرسي ·· ها هي ذبابة تقترب · وتراقصت عيناه في كل اتجاه تتبع طيران الذبابة المحموم ··· لم تره لا محالة ولونه الاخضر ··· لا تكاد تفرق العين بينه وبين لون الحشائش التي يحتمي بها ·

وازدادت الذبابة اقترابا منه ، وشعر بثقل في حركاته···وشعر بظل ثقيل أسود يقترب منه ··· أهو ظل سحابة ؟ واذا به يلتهم الذبابة بفمه ولكن ، شيئا ما دخل بدنه ، مزقه · وأحس بالداء والموت ··· واحس لاول مرة بمرارة الأكلة الثالثة ··· اللقمة الثالثة ··

« ولكن ··· هذه هي الاكلة الاولى بالنسبة لي ! هل ستكسب رفيقتي الرهان ؟ صدقت رفيقتي ·· »

وبجهد جهيد التفت نحو جحره ، وبحث عن صاحبته ، فما وجد لها من أثر ··· ولكنه وجد ظلا كبيرا أزرق يحجب عنه زرقة الافق ···

« آه ·· الانسان ·· دائما هو ·· » وأحس بألم قاتل في رئتيه وأحشائه وشعر بضعف شديد وحقد على الانسان كبير ؛ واذا بعينيه تغمضان بالرغم منه، واذا به يتمتم « القبلة الثالثة ··· الانسان ··· الثالثة » ·

جلول عزونه



مطالعات

كتاب « ورقات »

للاستاذ : حسن حسني عبد الوهاب

عـرض : محمد العربي عبد الرزاق

تتميز البلدان في هذه المعمورة بما يتميز به الافـراد من البشر مـن حيث الخصائص الطبيعية ومن حيث الميزات الخلقية الناشئة عن امتـزاج الحضـارات وتكامل عناصر المعرفة والثقافة من موارد متعددة ومصادر مختلفة · فكثيرا ما يكون مصير البلاد شبيها بمصير الانسان في جمـال المظهـر ، واعتـدال الطبع ، وسعة الارجاء والصدر ·

ولئن كان التصدي لكشف خبايا نفس الفرد ، والاطلاع على خصائصه في وحدانيتها وفي اشتراكها مع خصائص المجموعة امرا يتصف بقدر من العسر ، فان محاولة دراسة خصائص البلاد الذاتية ، والاطلاع على دقائق ميزاتها الثقافية والحضارية اشد عسرا واكثر للباحث اجهادا ·

ولهذه الاسباب وغيرها ، كانت كتب تاريخ الحضارة في بلاد بعينها ، او في مجموعة من البلدان ، كتبا نادرة نسبيا ، اذا اقتصرنا منها على الكتب الجديـة العلمية التي يأخذ اصحابها انفسهم فيها بما يجب ان يؤخذ به مؤرخ الحضارة من موضوعية وسعة اطلاع وجمع لافاق المعرفة واشتات الاذواق في مختلف ميادين الفنون الجميلة والعلوم النقلية والعقلية والمناهج التقليدية والمعاصرة ·

هذا وان نحن حاولنا ان نبحث عن بعض المؤلفات الجيدة عن تاريخ الحضارة التونسية ، فانه سرعان ما يتضح لنا خلو المكتبة التونسيـة من كتاب جامـع لتاريخ الحضارة ببلادنا ، بل ان اقصى ما يمكن الباحث الوصول اليه هي كتب للتاريخ الاصطلاحي الضيق وضعت في تاريخ المغرب العربي بصفة عامة ، وكتب اغلبها بلغات غير لغة البلاد · فكانت على جلال قيمتها تتصف بعيبين اساسيين لا مفر منهما بحكم الوضع :

الأول : عيب الانحصار فى نطاق التاريخ بمعناه التطورى فى الزمن ٠

والثانى : استحالة اطلاع المؤلفين من ذوى اللسان غير العربى على اصول ووثائق مخطوطة نادرة محررة بالعربية وموجودة فى بعض المكتبات الخاصة ٠

ولئن كان على المؤرخ الصرف ان يتحرر من محيط الاحداث والعادات والتقاليد، لكى يصبح موضوعيا فينظر الى الامور من الخارج او من اعلى ، فان مؤرخ الحضارة مرغم على ان ينظر الى الامور من الداخل ومن الخارج معا حتى يتفاعل مع الاحداث ، ويحس مظاهر حضارة بلاده احساسا باطنيا يكون تكملة للنظر الموضوعى ، وترويجا للاسلوب العلمى باسلوب قريب من لغة الادب والفن ٠

وبهذه النظرة من الداخل ومن الخارج ، وبهذا الاسلوب الجامع بين جد العلم ونفحات الفن والادب ، تصدى الاستاذ الكبير حسن حسنى عبد الوهاب لدراسة الحضارة العربية بهذه البلاد التونسية ٠

ولقد اصدر الاستاذ الكبير منذ اشهر كتابه الذى جعل عنوانه (ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية) فجاء القسم الاول منه فى اربعمائة وخمس وسبعين صفحة من قطع الثمن الكبير ، واخرج فى طبعة انيقة جميلة الورق والحروف ٠

وكتاب (ورقات) ليس كما يظنه بعض القراء الجزء الاول من الكتاب الذى عرف الان باسم (كتاب العمر) ، انما هو مجموعة من الفصول والمقدمات المقتبسة منه ٠ فلنترك المؤلف يتحدث فى مقدمته عن هذه الورقات فيقول :

« هذه ورقات اقتبستها من كتاب افنيت فيه عمرى ، واستنفدت صبرى وقضيت فى جمعه وتدوينه زهاء خمسين عاما على الولاء » ٠٠ ثم يواصل المؤلف قائلا بعد فقرات :

« وكان صفوة من الاخلاء والرفقة يستحثوننى فى شأن هذا الكتاب ويتقاضوننى ان اخرج به الى الناس ٠٠٠ وظللت وقتا ما بين أحجام واقدام حتى بدت فى شأن الكتاب فكرة تلك هى ان ابادر الى نشر المقدمات التمهيدية لمباحث التاريخ وصنوف العلوم تعجيلا للنفع بها ريثما ينتهى اعداد جملة الكتاب ، كتاب العمر » ٠

هذا ما قاله الاستاذ المؤلف فى تقديم هذه الورقات من كتاب العمر ٠ ونحن نريد اولا ان نقف عند هذا العنوان الذى اختاره المؤلف لكتابه ، ذلك ان عبارة (كتاب العمر) تؤدى بدقة ما عرف عن الاستاذ الكبير من تعلق متين بهذه

الكائنات الخاصة التي تتمثل في الوثائق سواء منها نوادر المخطوطات او نفائس النقوش من بقايا عصور ماضية اصبحت عندنا بمثابة احلام ذهبية ٠

وعنوان المؤلف يؤدى ايضا بكامل الدقة شعور الحب والعطف الذى يكنه المؤلف نحو كتابه الذى يعتبره خلاصة عمره واثره الذى سيكون خير خلف له وخير دال عليه ٠

وهذا الجو العاطفي الذى يصوره مجرد عنوان الكتاب هو الذى جعل هذه الورقات المقتبسة منه تعكس اتجاهات ثلاثة :

واول هذه الاتجاهات هو الاتجاه الادبي وهو من اهم ما يلاحظ في الورقات اذا لم نقل انه الميزة الغالبة فيها ٠ ولسنا نعنى بالادب مجرد موضوع البحث انما نقصد ان المؤلف اديب اصيل في اسلوبه وفي الطريقة او المنهاج الذى يتبعه في بحثه حتى ان القارئ يشعر بقرب الصلة بين اسلوب استاذنا ومنحاه وبين اساليب كبار شيوخ العربية وخاصة منهم الجاحظ في جده المتين وفي خفة استطراداته المنهجية ٠

اما الاتجاه الثاني فهو في نظرنا الاساس الذى يقوم عليه الكتاب كله ونعني به الاتجاه التاريخي العلمي في رصانته وثباته واعتماد خواتمه على مقدماته وتسلسل المعلومات فيه حسب ترتيب محكم يتضمن التعرض الى العلوم في فترة معينة من تاريخ البلاد حتى انقضاء الفترة فيكون الاطار موحدا وتكون النظرة موضوعية ٠ ولا يفوت القارئ الكريم ما بين هذا الترتيب وترتيب كبار المستشرقين مثل بروكلمان في تاريخه للادب العربي من تشابه ٠

اما الاتجاه الثالث والاخير فهو ايضا من اهم الاتجاهات في كتاب العمر وهو الذى يفسر لنا وجود كتاب الورقات ٠ نعني بذلك الغاية التي كتب من اجلها الكتاب ٠ وليس ادل على هذه الغاية من قول المؤلف نفسه في مقدمته متحدثا عن بعض الاصدقاء: « يرون الحاجة اليه ملحة ولا سيما في هذا العصر الذى تنهض فيه البلاد التونسية نهضتها المرموقة مواكبة ما في الشرق وشتى البلاد الاسلامية من نهضات جسام حتى يكون الكتاب بين ايدى النشء الجديد والجيل الطالع يهز اشواقهم الى احياء تراث العروبة وابتعاث مجد الاسلام ويبصرهم في سيرهم الحاضر بما شاد اسلافهم من حضارة معمرة وما افادوا من علم نافع وما سلكوا في الحياة من طريق مستقيم ٠ ثم يواصل الاستاذ المؤلف قائلا : « وأرجو ان تلقى هذه التمهيدات من النابتة الجديدة اقبالا يزيد به التونسيون المحدثون ارتباطا بماضيهم الخالد ويتلمسون فيه عونا على مستقبلهم الزاهر فاني لاومن اصدق الايمان بان جذورنا المتأصلة في تاريخ اجدادنا وثيقة الصلة بوعينا القومي الحديث ٠٠٠ »

ومن كلام المؤلف هذا يتضح لنا ان الغاية التربوية المدنية لها نصيب كبير في الكتاب لان تاريخ الامم هو اساس كيانها الحاضر ولا خير في امة تجهل دقائق حضارتها وعينات تاريخها ..

وبعد هذا العرض الموجز لكتاب الورقات نود أن نقف بالتحليل والنقد عند بعض النواحي الاساسية الواردة في هذا الكتاب .

واول ناحية نقف عندها من هذا الكتاب هي ناحية طريقة تاليفه . فلقد اختص المؤلفون العرب منذ العصور القديمة بانهم يقصدون من مؤلفاتهم ان تكون دواوين جامعة لكل ما اثر عن قومهم من اعمال ومن معارف في مختلف العصور التي سبقتهم وفي مختلف الميادين التي تتفرع اليها الحياة والحضارة . فكانت كتبهم دواوين جامعة ولكنها لم تكن منظمة تنظيما علميا بالمعنى الذي نعرفه اليوم ، بل كانت مادة خاما تحتاج في غالب الاحيان الى الدرس والنقد والتمحيص حتى توضع موضع الانتفاع بها .

وقد كانت الصبغة الادبية بمعناها الخاص الذي يصبح الادب فيه عادة حضارية وتصبح الكتابة عنده ضربا من الحديث ، غالبة على كل ما يؤلف من كتب سواء كانت ذات طابع ديني او ذات طابع تاريخي حضاري . وبهذا المعنى يقول النقاد اليوم ان كتبا مثل سيرة ابن هشام وصحيح البخاري وتفسير الطبري وتاريخ البغدادي ورحلات الجغرافيين العرب كلها تعتبر كتب ادب .

ونحن اذ نتحدث اليوم عن هذه الصبغة الادبية الغالبة على المؤلفات العربية القديمة واذ نحاول بعد حين استخلاص اهم خصائص هذه الميزة الادبية لا نريد بذلك حديثا يكون مجرد قول عام لكنا نمهد به لبعض الميزات الاصيلة التي عثرنا عليها في الكتاب الذي نتحدث عنه لانه هو ايضا في نظرنا كتاب ادب بالمعنى القديم قبل ان يكون كتاب تاريخ .

فمن ابرز خصائص الطريقة الادبية في الكتابة عملية الجمع والتدوين لعدد كبير من المعلومات التي يربط بينها مبدئيا موضوع موحد لكنها تؤول في غالب الاحيان في كتب الادب الى نوع من الحديث الحر المعتمد اولا وبالذات على توارد الخواطر .

ثم ان من اهم ميزات الطريقة الادبية عدم التعمق النظري في موضوع بعينه في موطن واحد من مواطن البحث .

ذلك ان الكاتب يكتفي في غالب الاحيان بعدد من التلميحات والاشارات المتفرقة التي يتعين على الدارس جمعها ومقارنتها للخروج براي عام مدقق حول مقصد الكاتب .

ويعود السبب فى تعدد هذه اللمحات وتوخى الايجاز فيها الى ان الكاتب الاديب يعتنى باسلوب كتابته من حيث الجمال والبلاغة والتزويق بقدر يضاهى اهتمامه بالموضوع او يفوقه وكتاب الاستاذ الكبير حسن حسنى عبد الوهاب يتصف بقدر لا باس به من هذه الخصائص الادبية فهو اولا كتاب جمع فيه مؤلفه كل ما استطاع ان يدونه وان يجمعه من معلومات متفرقة فى بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة النادرة الوجود او موجودة ضمن نقوش اثرية او نقود تاريخية قديمة ٠

ثم ان الاستاذ المؤلف قدم لنا هذه المعلومات الثمينة النادرة فى اسلوب انيق جميل زينه باساليب البلاغة وزوقه ببعض طرق البيان ٠

وناحية ثالثة هى ان المؤلف قد راى نفسه مضطرا ــ وهو يخرج للناس كتابا ممهدا لكتابه الكبير ــ ان يختصر كثيرا من الفصول وان يقتصر على عدد من التلميحات والاشارات التى قد يغلب عليها الايجاز الفنى احيانا وقد يغلب عليها الاختصار المنهجى ٠

ونريد فى هذا المقام ان نسوق فقرة بدا بها الكاتب حديثه عن انبثاق الحضارة وعن افاق تونس لانها تصور فى راينا هذه الصيغة الادبية احسن تصوير٠ يقول الكاتب فى الصفحة الخامسة عشرة من الكتاب : ان شان هذا البحر المتوسط لشان عجيب مهد الحضارة ومبعث الرسالات ومنبع الشعر والفن والسحر ٠

البحر المتوسط قلب الدنيا النابض وفلك العالم الدائر وقطبه المنير ٠ على ضفافه الهادئة المعتدلة نشات مدنيات ومدنيات قديمة وحديثة وظهرت ايات التفكير البشرى وعجائب الحقائق ونبعت معجزات سرمدية ٠٠٠

فى هذا البحر الخالد وفى نقطة الوسط منه تقع البلاد التونسية فتجعل سطحه نصفين مستويين ، تبارك الله احسن الخالقين »

هذا ايها القارىء الكريم انموذج من الاسلوب الفنى الذى نجده فى عدة مواطن من الكتاب والذى يتسم فى كثير من الاحيان بلهجة خطابية تعليمية معا٠

وقد يتبادر الى ذهن القارىء انا نقصد باشارتنا الى هذه النقط المعينة من الكتاب الى الغض منه ٠ ونحن نبرا الى القارىء والى الاستاذ المؤلف جميعا من هذا الظن ونقدم بين يدى ردنا هذا حجتين على الاقل :

الاولى ان الطريقة الادبية فى الكتابة ليست نقصا اذا كان صاحب الكتاب قصدها فاصاب ، بل نحن نجزم بانها من الطرق الخالدة فى الكتابة لان تقديم العلم فى قالب ادبى ليس بالامر الهين ٠

اما الحجة الثانية فهى تعود الى ان كتاب الورقات قد تجاوز الطريقة الادبية القديمة باشواط بعيدة لانه كتاب علم وادب معاً ٠ نعم انـك لتجد بالكتـاب النصوص القديمة وتجد به الشعر الى جانب النثر والرواية وتجـد العلمـاء والادباء منزلين فى منازلهم طبقات ، ولكنك الى جانب ذلك كله تجـد دقـة الملاحظة وعمق الاستنباط والاستقراء ، ودحض الحجـة بالحجـة ، واستعمال الاساليـب العلمية الموضوعية التى اصبحت نجاعتها لا تحتاج الى اقامة الدليل٠

وانما اقصى ما يمكن ان يؤاخذ به كتاب الورقات هو انـه مكون كما يقول كاتبه من مقدمات تمهيدية لمباحث التاريخ وصنوف العلـوم بادر صاحبها الى نشرها تعجيلا للنفس بها ريثما ينتهى اعداد جملة الكتاب ، كتاب العمر ٠

ونحن اذا نظرنا الى الكتاب من هذه الزاوية فانه لا يسعنا الا ان نبدى اعجابنا بما بذله مؤلفه فيه واستبشارنا بما سيكون فى الكتاب الاصل كتاب العمر من ذخيرة بالنسبة لتاريخ هذا الوطن وحضارة هذه البلاد ٠

محمد العـربى عبد الرزاق

أصداء الفكر

حول الذكرى العاشرة لتأسيس مجلة الفكر

نقتطف فيما يلي فقرات مما ورد في الصحف التونسية من حديث عن الحفل الذى انتظم بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور مجلة الفكر ودخولها فى السنة الحادية عشرة مع شكر كل الزملاء الذين لم يبخلوا بتشجيعهم واكبارنا لصحافتنا القومية لموقفها المشرف ازاء « الفكر » .

◆ **قالت جريدة الصباح بتاريخ 2 نوفمبر سنة 1965 ، فى ركن صباح الخير بعد أن تعرضت للاحتفال بمرور 33 سنة على بروز جريدة « العمل » التى أسسها المحامى الشاب الحبيب بورقيبة :**

« وعشية امس انتعشت بحضورى حفل التكريم البهيج الذى نظمته اللجنة الثقافية القومية بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور مجلة ـ الفكر ـ الفيحاء.

انتعشت لهذه الظاهرة الكريمة الطيبة التى احاطت الفكر والادب فى تونسنا الجديدة بالعناية والرعاية والتبجيل بعد سقوط العديد من المجاهدين فى سبيل الفكر قبل هذا العهد السعيد ، بسبب انعدام التشجيع وفقدان المؤازرة فضلا عن التكريم والاعتراف بالمجهود .

كنت ـ وانا اتابع فقرات الحفل ـ استعرض قائمة اسماء الذين غامروا قبل اليوم فاصدروا مجلات ثقافية فى تونس وتعرضوا للمشاق المادية والادبية فأصابهم الاعياء فتوقفوا عن المسير ، اذكر ذلك واحمد الله ان جاء اليوم الذى اصبحت فيه المجلة الثقافية تقطع السنوات وهى مزدهرة متطورة من حسن الى احسن مضطلعة برسالتها فى جو من التقدير والاعتبار .

فى هذا دليل حى على اننا قد قطعنا فى مسيرة التقدم والنضج خطوات شاسعة نسأل الله أن يهبها الثبات والتوفيق وان يهيىء للفكر فى هذه البلاد اسباب المزيد من الاشعاع والازدهار والانتشار .

يومان مرا بى فاسبغا على نفسى الرضى بيومى والطمأنينة وشعرت كان الاعتبار قد رد الى اهل الفكر جميعا ، الاموات منهم والاحياء وفتح امام الاجيال افاق الانطلاق فى الانتاج الجيد والخلق مساندين بتشجيع الدولة وتقدير الشعب المغربى فى الوطن الكبير . » (يقظان) .

◆ **وورد فى جريدة العمل بتاريخ 3 نوفمبر 1965 ما يلى :**

« عشر سنوات تمر معها احداث ومعالم و « الفكر » شامخة فى وجودها ، مكينة فى واقعها وحية خصبة فى نبضها ورسالتها

بعثت وسارت فى وقت ظن فيه انها ستدرج فى عداد المجلات الضحلة التى ماتت ولم تقو على الحياة ، فكانت الفكر فى وثبة واصرار على الاستمرار والتجدد • وكانت الحياة الثقافية فى ابعادها واصالتها وانفتاحها ثم ها هى تكون رغم الظنون فى قيادة الطليعة الفكرية والثقافية عشر سنوات لم تهن فيها يوما او تحتجب فاستحقت المجد الذى منبعه الفكر والخلود الذىماتاه الالتزام • »

• وتحدثت « لابريس » الصادرة فى 6 نوفمبر 1965 بمناسبة حفل الفكر عن سلسلة المجلات التى برزت فى تونس منذ ما يقرب من قرن ولم تعمر طويلا فقالت:

« اهتممنا بتاريخ المجلات التونسية التى صدرت قديما ورأينا مدى العمل الذى قام به السيد محمد مزالى مدير مجلة الفكر اذ أن هذه المجلة هى الوحيدة التى أمكن لها أن تحيا طويلا مع المستوى العالى » • وجاء فى آخر المقال : « ان مجلة الفكر أعظم المجلات التونسية شأنا » •

• ورد فى جريدة لاكسيون الصادرة بالفرنسية فى 4 نوفمبر 1965 تحت عنوان الذكرى العاشرة لمجلة الفكر والنضال الفكرى مقال قارن فيه صاحبه (فاتح والى) فى الاول بين مجلتى الفكر والآداب ثم قال :

« وبالفعل فان المجلة عند صدورها سنة 1955 حملت معها نفسا جديدا يتمثل فى الشعور بمسؤولية المفكر نحو قومه ووطنه • وقد رفعت المجلة هذه الفكرة الى المستوى الفلسفى العالى • وهو ما لم نعهده فى المجلات القديمة ، اذ أن أصحاب هذه المجلات ــ وان قاموا بأعمال جليلة فى هذا الباب ــ فانهم كانوا يمارسون الفن للفن ان صح هذا التعبير ••• بينما تجاوز الالتزام مع مجلة الفكر حدود الايمان بالتراث الثقافى القومى وأصبح يتناول بالفعل جميع الميادين •

ولقد مدت « الفكر » يدها فى مجال الأدب البحت للقرائح الجديدة وساعدتهم على الظهور • قال محمد مزالى مدير المجلة يوما لشاب لم يشعر بالثقة فى نفسه بعد ولكنه بلغ اليوم مستوى أدبيا مرموقا : « ما عليك الا أن تزور نادى الفكر، فسآخذ بيدك وسترى أنه فى وقت غير طويل ستكون لك الدربة الكافية والثقة بالنفس•ولقد قمت بهذا العمل مع فلان•••أليس هو اليوم كاتبا معروفا؟ »• لهذا فان « الفكر » هى المجلة الوحيدة التى تربط بين أدبائنا وهى الأداة التى ستنهض بأدبنا • »

وبعد أن تحدث صاحب المقال عن دور «المجلة» فى التعريف بمشاكل الانسان التونسى وتحليلها وفى ربط المثقف بأرضه قال :

« وستكون هذه المجلة بالنسبة للاجيال القادمة شاهدا صادقا على فترة من الفترات الحاسمة خاضتها الامة التونسية »

وختم فاتح والى تحليله قائلا :

« ان أهم ما قامت به مجلة الفكر هو النهوض بالأدب التونسي واعتبار الالتزام دعامة له في مفهومه العملي » ·

• وكتب الاستاذ الحبيب الجنحاني في صفحة أدب وثقافة بتاريخ 5 نوفمبر 1965 تحت عنوان : فكر ونضال ما يلي :

« احتفلت اسرة الثقافة في تونس بحدثين هامين في الايام الاخيرة ، اهمهما دون شك مهرجان مجلة (الفكر) وقد كان دليلا على التقدير العميق الذي تتمتع به في الاوساط الادبية ، وعلى وعي المسؤولين لرسالتها الثقافية السامية ، واعجابهم بنضالها من اجل المساهمة في ابراز معالم الشخصية الفكرية لتونس الجديدة ·

كان المهرجان فرصة لالقاء نظرة على الماضي القريب ، وللتعرف على الخطوات التي خطتها بلادنا في بحر العشر سنوات الماضية كانت مجلة الفكر اصدق مرآة لها دون مبالغة ·

وليس هدفنا هنا طبعا الحديث عن تاريخ مجلة (الفكر) ، وعن تطورها فقد سبق ان نشرنا حول ذلك حديثا لمؤسسها ومديرها الاستاذ محمد مزالي ، وانما نريد ان نستخلص بعض النتائج بمناسبة اقامة هذا المهرجان :

اولا ـ ان صدور المجلة هذه السنوات الطويلة دون انقطاع او تاخر دليل على أن المشاريع الثقافية تستطيع ان تعمر طويلا في بلادنا وتلعب دورا هاما اذا كان المشرفون عليها من المؤمنين بأن رسالة الفكر في بلادنا هي رسالة نضال هادف، مستمر، وان يكون سر نجاحها حماس المسؤولين عليها ،

لذا اصبح للفكر اليوم قراء ينتظرون صدورها في مطلع كل شهر واسرة من ادبائنا تنتسب اليها ، واصبحت تجد مساعدة مادية كلما دعت الحاجة الى ذلك فقد كان رأسمالها في سنواتها الاولى ايمان اسرتها ونضال صاحبها من اجل نجاح المشروع · كل الذين عاشوا فترة انبعاث مجلة الفكر يذكرون ذلك جيدا·

ثانيا ـ لكي يستطيع اي مشروع فكري اداء رسالته في تجديد وحماس متواصلين لابد من انتشار روح التعاون ، والنزاهة الفكرية بين اعضاء الاسرة المشرفة عليه ، وان يكونوا مؤمنين باداء رسالة التزام بينة المعالم واضحة

الاهداف أننا لا نشك فى أن مجلة (الفكر) ستواصل رسالتها بنفس الحماس والدقة اللذين عودت بهما قراءها وانها ستتطور من حسنٍ الى احسن ٠ كما ينبغي ان يشعر كل مثقف فى بلادنا ان فى تشجيع هذه المجلة الثقافية الوحيدة فى بلادنا وتشجيع المشاريع الثقافية الاخرى ـ خدمة للنهضة الفكرية العامة التى نعمل من اجلها جميعا ٠ »

• وقالت جريدة (Le Petit Matin) تحت عنوان « الفكر » والثقافة الاشتراكية فى 6 نوفمبر 1965 :

« اذا نحن زرنا المعرض الذى نظمته « الفكر » بمناسبة عيد ميلادها العاشر أدركنا الدور الذى قامت به طيلة العشر سنوات الماضية ٠٠٠ ولقد كافحت المجلة خاصة فى سبيل احياء ثقافة قومية ولكنها متفتحة الى العالم المتحضر »

ثم بعد أن وضحت الجريدة مدى ايمان مجلة «الفكر» بالاشتراكية الدستورية وبما تفتحه من آفاق لجميع المواطنين قالت :

« ان كل افتتاحية من افتتاحيات الفكر نداء ودعوة وصرخة٠ دعوة الى الاجيال الصاعدة حتى تتثقف ثقافة صحيحة أصيلة معرضة عن كل تشاؤم أو تخاذل أو كسل ٠ »

• وجاء بجريدة العمل بتاريخ 3 نوفمبر 1965 فى باب تأملات بقلم ابن الرباط بعد أن ذكر مشاركته فى مجلة الفكر ما يلي :

٠٠٠ والحماس الفكرى ، هو الذى دفع صديقنا الاخ محمد مزالى لتبنى هذا المشروع والسهر عليه ، ومده بكل اسباب الحياة وطول النفس ، وان كان اغلب الناس فى بلادنا يعتبرون كل من يبعث مشروعا من هذا النوع ، رجلا مغامرا مصيره ـ حتما ـ سيكون الفشل والخسارة ، والضياع ٠٠٠ وذلك لان هؤلاء الناس يستعملون قاعدة القياس فى احكامهم ، ولانهم تعودوا بهذه الطفرات ، او ما نسميه بالنفحات وعاشوا تجارب كثيرة متشابهة ، وتصفحوا مجلات عديدة ، وجرائد متنوعة ولكنها سرعان ما اختفت ، وتوارت واصبحت بعد ذلك مجرد مرجع لفترة من التاريخ ٠

وآخر مجلة كانت تصدر قبل (الفكر) فى بلادنا هى مجلة (الندوة) التى كنت من بين المشاركين فى تحريرها ، وهى التجربة التى مهدت لظهور (الفكر) وقد اشار اليها السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية بالتلميح فى حفل تكريم (الفكر)

٠٠٠ ويعد فشلها من بين الاسباب التى حمست صديقنا العزيز محمد مزالى

ليدخل فى اعماق التجربة بالاسلوب الذى يراه لها صالحا، وبالطريقة التى يجتهد فى اختيارها ، لرعاية (الفكر) وتمديد عمرها حتى تواكب نهضتنا ، وكفاح ثورتنا فتجتاز بثقافتنا مرحلة النضج الذهنى الخلاق وتجديد أدبنا المتجمد ، وبعث الحياة المتطورة فى مختلف فنوننا سواء من ناحية المضمون او الشكل٠

وعندما برز اول عدد من (الفكر) كنت بعيدا عن وطنى ، متلمسا كل حرف يكتب عنه بدوافع من شدة الشوق العارم الذى لا يختلف عن شوق الابن البار، لامه الحنون ٠٠ وبينما كنت اضرب بقدمى ارض الغربة ، اذ برسالة تصلنى من الاخ محمد مزالى مؤرخة فى 28 نوفمبر 1955 وتأملت سطورها ، فاذا بها كتلة من عزيمة صادقة وجهاد جبار يوحى بتحدى الفشل والتغلب على عوامل التثبيط والفتور ٠

واضع امامك ـ ايها القارىء ـ بعض فقرات من رسالة صاحب الفكر لتدرك مدى الصعاب التى كانت تقف امام المشروع والظروف المعقدة التى ظهرت فيها المجلة ، والصراع المتواصل فى سبيل انتصارها واثبات ضرورة وجودها ٠٠٠ والجو المكفهر الذى برزت فيه ، يقول لى الاخ مزالى فى رسالته :

(نعم ٠٠٠ لقد برزت مجلة « الفكر » بعد مجهودات جبارة ، وسعى عنيد لا يقل عن عناد هذه العوامل المثبطة المحطمة لكل محاولة صادقة ٠٠٠

هى تجربة اردت ان اقوم بها لاعرف هل تونس الثقافية ، اهل لان يضحى المرء فى سبيلها براحته وراحة عائلته وهل هى تستحق ان يحرق الانسان فكره ، ويذيب جسمه من اجل اعلائها واشعاعها ٠٠٠

هذه التجربة قررت ان تتواصل سنة كاملة ، حتى استخلص النتائج عن بينة من الامر ، وفى تثبت ، والله اسال ان يمدنى بعون منه وان يهدى رجال الفكر حتى يأخذوا بيد هذا المشروع ويوفروا له اسباب النجاح والديمومة ٠٠٠

والذى يبدو وهو ان المجلة صادفت رضى الجميع واثارت اهتمام الجميع ، فان الرسائل تتكدس يوما فيوما حاملة الملاحظات النزيهة ، والانتقادات الانشائية والقصائد والقصص والبحوث ٠٠٠ وكل ما اتمناه هو ان يستمر ذلك حتى نجازى بخير الجزاء على جهودنا المتواضعة ٠٠٠)

اظنك تاملت معى فى هذه الفقرات وما تنطوى عليه من الاحساس بخطورة

التجربة ، والاحساس بانها مغامرة كان من الممكن ان يطوقها الفشل لولا قوة العزيمة وروح التحدى والعناد ٠٠٠ ولقد كان صديقنا ينوى ان تستدر التجربة سنة كاملة ، واذا بنا اليوم نطفىء شموعها العشر فى عيد ميلادها ٠٠٠ وبذلك اثبتت (تونس الثقافية) بانها اهل للتضحية بالراحة واحراق الفكر واذابة الجسم ، من اجل اعلائها واشعاعها ٠٠

واثبتت هذه التجربة العميقة نجاحها،وفعاليتها فى دنيا الثقافة والادب٠٠٠ فكلنا امنيات (للفكر) بالدوام والتطور والازدهار ، ولصاحبها بالتوفيق والثبات ٠٠ وهدفنا جميعا رفع مستوى فكر الانسان التونسى ٠

◆ **عشر سنوات من حياة الفكر**

قالت جريدة الصباح فى 7 اكتوبر 1965 عن العدد الممتاز من مجلة الفكر الذى صدر به السنة الحادية عشرة :

« اصدرت الزميلة الادبية الكبرى مجلة ــ الفكر ــ عددا ممتازا ضخما بمناسبة مرور عشر سنوات على صدورها اشتمل على نماذج مما نشر فى اعدادها خلال السنوات العشر الماضية بأقلام شخصيات بارزة فى عالم الفكر ٠

ونحن نبارك للزميلة هذا العمر ونرجو ان يكون مديدا وحافلا بالنتاج القيم وبالتطور الى الامام دائما ، مهنئين اسرتها وصاحبها الفاضل الاستاذ محمد مزالى ٠ »

◆ **بمناسبة اقامة الذكرى العاشرة لتأسيس مجلة « الفكر »**

اتصلنا من نادى القصة التونسية بالبرقية التالية :

« ان نادى القصة التونسية واعضاءه المجتمعين الآن بالنادى الثقافى أبى القاسم الشابى بالوردية ، يهنئون الفكر فى عيدها العاشر ٠ ويباركون فيها شرف ما قامت به فى سبيل تطور القصة التونسية ٠ والمساهمة الجادة فى خلقها طول هذه الفترة ٠ ويكبرون المجهودات التى بذلتموها وما زلتم تبذلونها فى بعث نهضتها الثقافية الاشتراكية ٠

عن الهيئة الرئيس محمد العروسى المطوى

مقتطفات من السجل الذهبي
الذي فتحته المجلة بمناسبة عيدها العشرى

• تشرفت يوم التاريخ بتمثيل فخامة رئيس الجمهورية فى حفل تكريم أسرة مجلة الفكر بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها وكان لى بوصفى احد اعضاء الاسرة مزيد السرور والابتهاج بالمشاركة فى هذا الحفل والتعبير عما اكنه من تقدير للجهود الموفقة التى يبذلها كافة الاخوان المسؤولين عن المجلة وخاصة أخى وصديقى محمد مزالى

فتحياتى الخالصة اليهم جميعا ٠

الشاذلى القليبى

• انتشلنى هذا الحفل من مختلف المشاغل كما لا تزال مطالعة « الفكر » تنتشلنى من حين الى حين ٠ فحمدا للعاملين على ازدهار هاته الناحية الجوهرية من تقدمنا وتغذيته بما يجب من روح وهنيئا لكل القادرين على الجمع بين « الصوامع والمداخن » نداء وعملا مستمرا كالحياة

والى كافة الاخوان المسؤولين وفى مقدمتهم الاخ محمد مزالى تقديرى وتمنياتى بالدوام والاتصال فى هذا الجهد الواعى الحى ٠

احمد بن صالح

• وفق الله « الفكر » فى مجهودها المبارك فى سبيل ثقافة اشتراكية تدعم وتغذى سيرنا الجماعى نحو غدنا الافضل ٠

حسيب بن عمار

• مع معرفتى للمحبة التى بينى وبين محمد مزالى المدير المؤسس « للفكر » فانى اشعر شعورا قويا مجردا بالدور الذى لعبته مجلة الفكر ٠ وكل ما امنى به النفس هو ان ارى « الفكر » تزداد ازدهارا ورقيا فى امد قريب ٠

الامين الشابى

• شعرت وانا اشهد حفل تكريم « الفكر » فى عيدها العاشر بالاعتزاز حيث اصبح للادب والفكر ، فى بلادى شان واهتمام وتقدير ، واحسست بانى والآخرين ممن جاهدوا فى سبيل الادب نكرم اليوم ضمن أسرة الفكر واذن فان لم يكن لمجلة الفكر وباعثها أخى الاستاذ محمد مزالى من يد على الفكر ورجاله الا ان يصبح للفكر هذا الوزن فى تونس لكفاه فخرا فاليه تهانى ٠

الهادى العبيدى

• مع تمنيات صادقة للفرصة الكريمة التى مكنتنا من الاجتماع بأهل الفكر والادب تحت اشراف اسرة الفكر • الى الملتقى ان شاء الله مع الشكر •

عمر مصدق

• مع تمنياتى الصادقة للاخ محمد مزالى ولاسرة مجلة « الفكر العاملة فى سبيل النهضة الادبية • وفقكم الله جميعا لما فيه خير تونس العزيزة •

محجوب بن على

• شعرت باعتزاز يملأ جوانبى لما حققته مجلة « الفكر » من بعث ادبى وفكرى وما بثته فى الاوساط المثقفة من وعى •

محمود المعمورى

• حبى الكبير الى مجلة الفكر التى ترعرعت فى ظلها هو الذى دفعنى الى ان ازورها وبالتالى لكى اسجل فيها كلمة حبى هذه •

شكرا للاسرة الطيبة التى لا تزال ترعى الادب والاديب فى تونس•

حسن نصر

• انى اشعر كتونسى وكمحب للادب والمجلات خاصة باعتزاز وفخر كبيرين لما حققته مجلة الفكر من المقالات والقصائد والقصص والتى هى ثمرة الانتاج التونسى الصميم لمدة عشر سنوات •

وقد حملت عروبة تونس وعراقتها الادبية الى كل البلدان الناطقة بالعربية •

عز الدين بن عياد

• مع تمنياتى الصادقة وتقديرى الفائق لمدير وافراد مجلة الفكر التى هى من احب المجلات الى نفسى •

شريفة حرار

• اتيت لكم متسائلة فادهشتمونى بالجواب ؛ اتمنى لكم التوفيق بكل ما تسعونه •

ميران ـ مستشرقة

• أركان النهضة الأدبية بتونس :

سيظهر قريبا كتاب أركان النهضة الأدبية بتونس للشيخ محمد الفاضل بن عاشور • ويتناول هذا الكتاب بالدرس حياة أبرز الأدباء الذين عرفتهم تونس في العصر الحديث •

• أسبوع المسرح بتونس :

جرت العادة في كل سنة أن تقوم كتابة الدولة للشؤون الثقافية بتنظيم أسبوع للمسرح • وقد امتاز هذا المهرجان في هذه السنة بزيارة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة للمعرض الذي أقيم بقاعة الفنون والذي احتوى على وثائق هامة تبين مراحل تاريخ المسرح في تونس • وعلاوة على ذلك فقد ألقيت بهذه المناسبة محاضرات حول المسرح وعرضت تمثيليات عديدة •

• مهرجان أدبي في القيروان :

جرى يوم السبت 27 نوفمبر 1965 حفل أدبي شيق وقع فيه توزيع الجوائز على الفائزين في مسابقة لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان • وقد أشرف على هذا الحفل السيد محمد مزالي بصفته رئيس لجنة التحكيم ، وألقى كلمة بين فيها المغزى من هذه المسابقة وحث لجان التنسيق الحزبية على القيام بمثل هذه المسابقات • وأعلن على الجوائز فكان الفائز في الشعر الاستاذ جعفر ماجد وفي البحث التاريخي الاستاذان العروسي المطوي والحبيب الجنحاني • أما القصة والمسرحية والتعاضد فلم يفز فيها أحد •

نجدد شكرنا للمسؤولين في القيروان ونقدم تهانينا الحارة للاساتذة الفائزين •